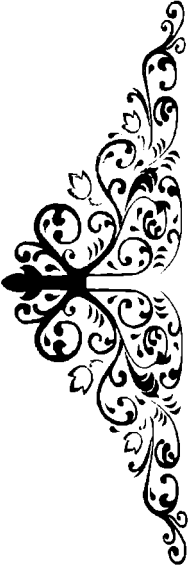


د. محمود طه

الانزواج عن النفس



عنوان الكتاب : الخروج علي النص

المؤلف : د. محمد طه

المراجعة اللغوية : عبد الهادي عباس

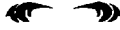
الإخراج الداخلي : وليد الهلالي

تصميم الغلاف : إسلام جاويش

رقم الإيداع : ٢٠١٥/٢٣٨١٣

ردمك : 978-977-85204-6-0

الطبعة الأولى : يناير 2016

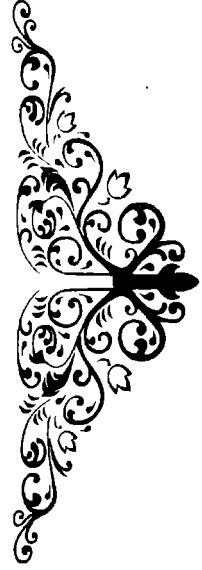


المدير العام : هاله البشبيشي

مدير المبيعات : شريف الليثي



دار توييا للنشر والتوزيع



dartoya2015@gmail.com



Dar.toya والتوزيع و النشر و التوزيع



@Dar_Toya



Dar.toya



(+2) 01140899887 . (+2) 01000706014



٢٣ ش عبدالوهاب عبد اللطيف - طريق بورسعيد
القاهرة - مصر

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار

الخروج عن النص

د. محمد طه

المؤلف

د. محمد طه

مدرس الطب النفسي. كلية الطب جامعة المنيا. مصر
نائب رئيس الجمعية المصرية للعلاج النفسي الجمعي
زميل الكلية الملكية البريطانية للأطباء النفسيين
عضو الجمعية الأمريكية للعلاج النفسي الجمعي
عضو الجمعية العالمية للعلاج النفسي الجمعي

كل ما هو مكتوب في هذا الكتاب هو اجتهادات وتحليلات
ورؤى شخصية بحثية، مبنية على تجربتي الحياتية الخاصة
(كإنسان)، وعلى خبرتي العلمية والتعليمية والعلاجية
المتواضعة (كطبيب نفسي ومدرس جامعي)..

كل كلمة هنا تحمل الخطأ والصواب.. وتخضع للنقد
والتفنيد.. ويؤخذ منها ويرد عليها.. وليس لها أي هدف سوى
نشر التوعية النفسية باستخدام لغة سهلة ومفردات بسيطة،
اجتهدت في فهمها واستيعابها وتوصيلها قدر المستطاع.

محمد طه

إهداء..

إلى من علماني أبجديةً الوجود..

أبي وأمي..

إلى من علمني أبجديةً الحياة..

أستاذي أ.د. رفعت محفوظ..

إلى من علماني أبجديةً الحب والشجاعة..

كريم.. وسلمى..

والى زوجتى..

من علمتني أبجديةً البحث عن الحقيقة..

فهرس الكتاب

الصفحة	العنوان	مسلسل
١١	قوم اطمن على حدودك	١
١٦	نفسك الحقيقية و نفسك المزيفة	٢
٢٧	ليه بنكرر نفس الغلطة؟	٣
٣٧	المواقف غير المنتهية	٤
٤٤	مشاعرك اللي هي مش مشاعرك	٥
٥٢	علاقات خطيرة	٦
٥٧	أنت وعالمك الداخلي	٧
٦٦	الخروج عن النص	٨
٨٠	الحاجة إلى الشوفان	٩
٨٥	إوعى تكون مدمن	١٠
٩٢	دورك فى سيناريو حياتك	١١
١٠٤	نصف حياة	١٢
١١٣	أقوى سلاح فى تاريخ البشرية	١٣
١٢١	عن الاحتياج للحضن	١٤
١٢٧	ياللا نعمل (أب - ديت) لبعض	١٥
١٣٢	كلنا مالفيسينت	١٦
١٤٢	أنا موجود.. إذن أنا أستحق	١٧

مقدمة

حياتنا مليانة نصوص مكررة وسيناريوهات محفوظة..

من أول نص الأب والأم.. بتاع اسمع الكلام.. وما تعليش صوتك..
وما تقولش لأ.. وما تزعلنيش علشان تبقى شاطر.. واشرب اللبن
علشان تدخل الجنة..

وبعدين نص التفوق فى الدراسة.. بتاع ذاكر واحفظ ولازم
تطلع الأول وتجبب الدرجات النهائية وتدخل كلية الطب
وتطلع دكتور..

وبعدين نص المجتمع.. بتاع ضل راجل ولا ضل حيطه، وان فاتك
الميرى اتمرغ فى ترابه، واللى مالوش كبير يشتريه كبير..
وبعدين النص الوحيد اللي يحدد هولاك شيخ أو كاهن للوصول
لربنا.. مع إن طرق الوصول له سبحانه وتعالى.. متعددة بعدد
الخلق والخلائق..

ساعات كتير بنحاول نخرج عن النص.. بطرق مختلفه، وأساليب
متعدده.. بس دايماً بيكون فيه حاجه ناقصه.. مهم إننا نعرفها
ونمارسها الأول.. الحاجه دى اسمها (الوعى النفسى)..

إحنا محتاجين نعرف أكثر عن نفسنا، عن مشاعرنا، عن طرق
تفكيرنا، عن دوافع تصرفاتنا.. محتاجين نعرف عن علاقاتنا
بمختلف أنواعها وأنماطها، قد إيه منها مشوه ومؤذي، وقد إيه منها
صحيح ومفيد.. محتاجين نعرف عن أفعالنا وردود أفعالنا اللحظية
واليومية مع الآخرين، أصلها إيه وجاية منين ورايحه فين؟

في كثير من الثقافات المتقدمة، بتلاقي رجل الشارع العادي يعرف عن علم النفس وساعات الطب النفسي والعلاج النفسي أكثر من اللي يعرفه أغلب المتخصصين عندنا.. علشان ده جزء مهم جداً من التكوين المعرفي لأي إنسان متحضر ومُستنير، بغض النظر عن مهنته ومستواه الاجتماعي أو الاقتصادي..

مهم جداً في رحلة أي حد فينا إنه يقف شوية قدام المراجعة.. المراجعة النفسية.. اللي من خلالها يقدر يشوف نفسه، ويعرفها، ويتعلم منها، علشان يخرج عن النصوص القديمة، ويبدأ يقبل نفسه، ويعبها، ويغيرها للأحسن.. وهي رحلة تستحق التعب، والصبر، وبعض الألم..

الكتاب ده نفسه.. خروج عن النص..

خروج عن النص المعتاد لتقديم الكتب العلمية بشكل عام والنفسية بشكل خاص..

خروج عن نص احتكار وتخزين المعرفة النفسية في صناديق مغلقة داخل حجرات مظلمة وعدم الاجتهاد في توصيلها إلا بلفظة صعبة ومفردات مقعرة، بتبعدنا في أوقات كثير عن جمال العلم وبساطته.. علشان كده الكتاب مكتوب بالعامية المصرية، للتبسيط والتيسير، وتوصيل الأفكار والمعلومات النفسية العميقة - والمعقدة في بعض الأحيان - باستخدام لغة سهلة ومفردات بسيطة.

خروج عن نص الفصل الرهيب بين العلم والفن في كثير من أعمالنا الأدبية والعلمية والفنية.. وفتح الباب على مصراعيه للخرافات والخزعبلات غير المبنية على أي أساس علمي.. علشان كده بعض الأفكار والمواضيع اللي بيقدمها الكتاب هايكون مدخلها أحداث أو مشاهد درامية..

الكتاب ده هايساعدك إنك تشوف..

تشوف نفسك، بكثير من تفاصيلها وخباياها..

تشوف الآخرين، بطريقة جديدة ومختلفة تمامًا..

وتشوف علاقاتك، بدرجة عالية من الدقة والوضوح..

الكتاب ده هايساعدك إنك تتغير..

ياللا بينا.. نخرج عن النص..

١
قوم اظمن على حدودك

جسمك هو البيت اللي بتسكن فيه نفسك وروحك.. ونفسك هي
البيت اللي بتسكن فيه مشاعرك وأفكارك ودوافع سلوكك..
وزي ما فيه لجسمك حرمة.. فيه برضه لنفسك حرمة..
بمعنى..

من حقك محدش يقرب من حدودك النفسية بدون إستئذان..
من حقك ما حدش يقتحمك.. أو يخترقك.. أو يستحوذ عليك..
تحت أي مسمى.. ولا تحت أي ادعاء..

من حقك تحدد المسافة النفسية اللي بينك وبين أي حد.. من
حقك تقرب اللي ترتاحله واللي تظمن له، وتمنع اللي ماتظمنش
له إنه يقرب.. من حقك تسمح لحد إنه يقرب أكثر، وتفتحله
الباب.. ويدخل البيت.. ومن حقك تحط سور فاصل وسياج منيع
يفصل بينك وبين حد ثاني..

حتى جوه بيتك النفسي.. فيه ناس بتقعدهم في الضالمة أو
الأنثريه.. وفيه ناس بتعزمهم على الأكل وتدخلهم أوضت
السفرة.. وفيه ناس ثانيه بتسمح لهم يتحركوا في البيت
براحتهم، وكأنهم أصحاب مكان..

ليه بقى ده كله؟؟

علشان فيه ناس هوايتها الاقتحام.. اقتحام الآخرين.. يقرب
منك.. ويقرب أكثر.. ويلاقيك فاتح حدودك.. فيدخل..
ويتجول.. ويحس إن المكان مكانه، فيقعد.. ويبدأ في
استهلاك مشاعرك، فيخليك تحزن مكانه، وتتألم بداله،
وتشيل همومه بالنيابة عنه.. وبعدين يبدأ في إنهاك أفكارك،

فتحتار في مشاكله.. وتتردد في قراراته.. وتعاني في كل خطوة هو يخطئها.. وبعد شويته كمان يبدأ في توجيه تصرفاتك لحسابه.. ورسم سلوكك لصالحه.. وانسى بقى.. انسى نفسك يعني..

فيه كمان ناس بتحترف الاستحواذ.. يعني يحب يمتلك الآخر.. ويحتل أرضه.. يبقى عاوزك تكون موجود ومُتاح ليه طول الوقت.. يبقى عاوز يستحوذ على انتباهك.. واهتمامك.. وتفكيرك.. ومشاعرك.. وبعد شويته.. حياتك.. أه.. يعني يبقى عاوزك تعيش له.. مش لنفسك.. وكثير من قصص الحب المؤلمة بيكون فيها ده.. وده بيؤدي لتدمير أحد الطرفين تماما.. وكثير من الزوجات الفاشلة بيكون ده سببها.. وكثير من الأمراض النفسية اللي بتصيب الأولاد الصغار والشباب في مقتبل العمر بيكون وراها إن الأب والأم متصورين إن ابنهم أو بنتهم مشروع حياتهم (مش مشروع حياته)، وانه لازم يحقق أحلامهم (مش أحلامه)، ويعمل اللي هما ماقدروش يعملوه (مش اللي هو عاوز يعمله)..

كمان فيه ناس بتبقى عاملت زي مصاصين الدماء.. يعني يبقوا عاوزين يَمصوا دمك.. يبقوا عاوزين ياخدوا منك كل اللي يقدرُوا ياخدوه.. تبقى إنت صاحب العطاء الدائم الذي لا ينقطع.. تدي.. تدي.. تدي.. تنزف.. تنزف.. تنزف.. تنزف.. وتحب.. وتقبل.. وتسامح.. وتسمع.. وتفهم.. وتقدر.. وتُعذر.. وتستحمل.. وتقطع من نفسك كل يوم حتة تقدها قريان ليهم.. وتدفع كل يوم تمن غالي في سبيل رضاهم.. وهم مش بيشبعوا.. ولا هيشبعوا.. أبدا..

فيه ناس بقى.. وذول أخطر من الجميع.. بيدويوا الحدود..
ويزيلوا الفواصل.. لغاية ما تعرفش فين حدودك من حدودهم..
فين الخط الفاصل بينك وبينهم.. فين إنت وفين هما.. تتوه جواهم
أو يتوهوا جواك.. وماتعرفش اللي إنت حاسه ده تبعك والأ
تبعهم.. واللي شايفه ده بعيونك والأ بعيونهم.. واللي جواك ده
بتاعك والأ اترمى فيك من عندهم.. تتلخبط.. تحتار.. وبعدين..
تضيع..

على النقيض، فيه ناس بيبقوا واقفين على الحدود.. مستنيين
الإذن.. مستنيين الإشارة الخضرا.. في انتظار إنك تفتح الباب..
وناس رايحه جايه بتحوم حواليك.. كل أملها.. إنك تاخذ بالك..
مُجرد تاخذ بالك..

وناس واقفت هناااالك.. بعيد.. بعيد جداً.. مش عارفتة تقرب والأ
تبعد..

قوم بقى اظمن على حدودك.. وراجع المسافات اللي بينك وبين
الناس.. شوف مين موجود فين.. مين قريب.. مين قريب أوي.. مين
قريب لدرجة الخطر.. ومين مُقتحم.. ومين مستحوذ.. ومين
مُحتل.. ومين ييمص الدم.. واعمل التعديلات اللازمَة .. وخط
كل حد في مكانه..

شوف كمان مين على الباب.. ومين رايح جاي.. ومين واقف
بعيد.. وكلهم مستنيين الإذن.. والإشارة الخضرا.. لو إنت تحب..

نقول تاني..

من حَقك تحدد مين.. هايكون فين.. إمتى..
مهم حدودك تبقى واضحة.. وأرضك تبقى آمنة.. ومهم إنك
تدافع عنها وتحميها.. ضد أي أذى من أي نوع..
تحديد المسافة بينك وبين أي حد حق أصيل ليك.. زي ما هو
حق أصيل لكل الناس..
بيتك النفسي ملكك.. مش ملك أي حد تاني.. حافظ عليه..
لأنه أمانته.. هيسألك عنها اللي سلمك عقد ملكيته المؤقتة يوم
ما خلقتك..

رُفعت الأقلام.. وجفَّت الصحف..

٢

نفسك الحقيقية.. ونفسك المزيفة..

كل واحد فينا بيتولد وجواه احتياجات نفسية بسيطة جدا..
احتياج إنك تتقبل.. إنك تتحب.. إنك يهتم بيك.. إنك تحترم.. إنك
تتشاف.. إنك تتحس.. إنك تتقدر.. إنك تقول لأ.. وغيرها..
وبتكون الوظيفة الأساسية للأم والأب أثناء التربية هي تلبية
الاحتياجات دي بشكل مناسب وبقدر كافي.. علشان يحصل
النمو النفسي السليم وتكتمل الصحة النفسية السوية..
لكن في الحقيقة.. مش ده اللي بيحصل دايمًا..

الطفل عادةً بيكتشف أثناء التربية إنه علشان تتم تلبية
احتياجاته الأساسية لازم يكون فيه مُقابل.. يعني (اسمع
الكلام علشان أحبك).. (اشرب اللبن علشان تبقى شاطر)..
(ماتقولش لأ علشان رينا يحبك).. ده غير رسايل كتير بتوصل
بتصرفات وسلوكيات ونظرات (وساعات طبعا إيديين ورجلين)
الأب والأم.. فيتحول الحب إلى (حب مشروط) والقبول إلى (قبول
مشروط) والاحترام إلى (احترام مشروط).. وهكذا.. كل
حاجة بشروط.. كل حاجة بمقابل..

يعمل إيه الطفل الغلبان بقى علشان يتحب ويتقبل ويتحس
ويهتم بيه؟!!

يعمل حاجة صعبة جدًا..

يضطر إنه يدفع التمن..

يضطر إنه يرضى بالمقابل..

يضطر إنه ما يبقاش نفسه..

يضطر يبقى زي ما هما عاوزين..

لأنه.. ببساطة شديدة.. محتاج..

يقرر الطفل في سن مُعين (النظريات والأبحاث بتقول حوالي خمس سنين) إنه يعمل عملية تجميل لنفسه.. أه عملية تجميل.. علشان يناسب الوضع المحيط بيه.. يعني يعدل نفسه ويضبطها على مقياس اللي حواليه.. عاوزينه مقياس ٣٧ يبقى ٣٧، عاوزينه مقياس ٣٩ يبقى ٣٩.. علشان يوصله منهم بعض الحب، وقليل من الاهتمام، وزيماشي من الاحترام والتقدير لإنسانيته واحتياجاته.

يقرر الطفل في السن دي إنه ما يكونش نفسه اللي اتولد بيه.. ويكون النفس اللي هما بيطلبوها منه.. عاوزينه يسمع الكلام.. فيسمع الكلام.. عاوزينه ما يقولش (لا) وما يوجعش دماغهم.. يبطل يقول لأ ويبقى (مؤدب).. عاوزينه ما يكونش تلقائي ويتحول لآلة صماء بكماء.. ماشي.. عاوزينه بعد شوية يحفظ الدروس ويجيب الدرجات النهائية على حساب فرحته وأوقات لعبه وإبداعه.. وماله.. وشوية كمان يبقوا عاوزينه يطلع أول الجمهورية في الثانوية العامة ويدخل كلية الطب أو الهندسة ويحقق أحلام وطموحات أبوه وأمه وخاله وعمته.. حاضر.. ده طبعا بعد كثير من المقاومة والصراع اللي بينتهي غالبا بالاستسلام..

يقرر الطفل بكل بساطة إنه يشوه نفسه لحساب الآخرين.. علشان يرضيهم..

يقرر يتكيف مع الوضع القائم.. والواقع المفروض عليه.. علشان يعفي نفسه من الأذى النفسي، وساعات البدني..

يقرر يدفن (نفسه الحقيقية) الفطرية الخالصة التي خلقها
رينا، علشان يحميها ويحافظ عليها في مكان سري عميق..
ويعيش برنفس مزيفة) مُصطنعة، تعرف تتعامل مع اللي
حواليه..

وتفضل (نفسه الحقيقية) حيت نابضة.. ولكنها كامنة
ومستخبية جواه..

مستتية تظمن.. وتتونس.. وتحس بالدفا.. علشان تخرج.. وتحيا
من جديد..

نخلينا ضرحا مع بعض.. مين ما اتعملش معاه كده؟ ومين ما
عملش كده في اولاده؟

اللي هايدور هايلاقي إنه (غالبا) كل حد مننا دفن جزء (واحد
على الأقل) من نفسه الحقيقية في إحدى مراحل حياته لسبب
أو لآخر.. اللي دفن تلقائيه.. اللي دفن شعوره بالحريته.. اللي
دفن طفولته وفرحتها وانطلاقها.. اللي دفن صوته العالي وقولانه
لكلمة (أ).. اللي دفن بعض قدراته وامكانياته.. وطبعا في
مجتمعنا (وفي غيره).. اللي اضطرت إنها تدفن أنوثتها.. واللي
اضطر إنه يدفن رجولته..

ويعيش الواحد حياته كلها بـ (نفس مزيفة) طافية على
السطح.. و(نفسه الحقيقية) مدفونة في القاع..

محتاج توضيح؟ عاوز أمثلة؟

لا.. مش هاديك أمثلة..

أنا هاطلب منك تبص حواليك (بلاش يا سيدي تبص لنفسك)..

انت عارف الطفل اللي صوته واطي وييمشي يبص في الأرض؟
اللي بيقولوا عليه (مؤدّب) ويسمع الكلام وما بيقولش (لا)..
عارف ده ممكن يكون دفن إيه؟ ممكن يكون دفن
طفولته الحقيقية وتلقائيتها وحريتها وقدرتها على الاعتراض
والمواجهة وأخذ الحق.. وطلع مكانها كائن مُستسلم مُسالِم..
مالهوش لا لون ولا طعم ولا رائحة (ده مش معناه طبعا إن الطفل
المتمرد العنيد هو الطبيعي)..

عارف الطالب اللي مش بيعرف غير المذاكرة.. وهدفه الوحيد في
الحياة إنه يجيب الدرجة النهائية ويطلع الأول على العالم.. اللي
مش بيعرف يلعب.. ولا يعرف يهزر.. اللي مش بيخرج مع حد..
ولا يحب يقعد مع حد.. لا يطلع رحلته.. ولا يسافر سفريته..
الشاب اللي علاقته بالكتاب أهم من علاقته بنفسه حتى.. أهو
ده ممكن يكون دفن إبداعه وحيويته.. وخرج مكانهم بني
آدم خافت مطفي.. الجزء الوحيد الحي فيه هو ذاكرته..

عارف البنت اللي بتلمع (زي الذهب الفالصو كده)؟ البنت اللي
بتبالغ في إظهار مفاتها وامكانيات أنوثتها.. ضحكتها هنا..
ونظرة هناك.. خطوة هنا.. وغمزة هناك.. اللي بتلعب كل
يوم بواحد.. وتدخل كل ليلة في قصة حب.. البنت دي غالبا
دفت أنوثتها الحقيقية.. المليانة حنان وعطاء ودفا وقرب وحياء
وسماح.. وطلعت مكانها أنوثة مزيفة مليانة ألوان وبهرجة
وميوعة وسطحية وتلاعب ورغبة عارمة في الانتقام من كل
الرجالة..

عارف الراجل اللي شكله خشن (أوي).. وما يعرفش غير الشَّخَط والنَّطْر؟ اللي بيستعرض عضلاته على الضعفاء.. ويستقوي على اللي ما لهوش حيلته.. اللي بيفتري على الغلابة.. ويمد إيده أو لسانه على القريب والبعيد.. ده غالباً دفن رجولته الحقيقية اللي كلها جدعنة وشجاعة وشهامة واصرار وصمود.. واستبدلها برجولة مزيفة كلها غرور وافترا واستعراض للقوى..

شوف بقى اللي دفن مشاعره وتحول إلى آت مش بتحس.. واللي دفن تفكيره وبقى مش بيْفهم رغم ارتفاع معدل ذكائه.. واللي دفن إبداعه.. واللي دفن.. واللي دفن.. واللي دفن.. عارف إيه بقى أكبر مشكلة وسط كل ده؟ أكبر حتى من الدفن نفسه..

المشكلة إن بعض المجتمعات (وطبعا بعض البيوت والعائلات) بتشجع أبنائها على دفن الأجزاء المهمة الثمينة الغالية دي من أنفسهم.. علشان يعرفوا يعيشوا فى المجتمعات (أو البيوت) دي.. مش بس كده.. ذول بيسقفلهم ويكافئهم ويكرمهم لما يعملوا كده.. تصور؟!

يعني بيوتنا الأصيلة بطريقتة تربيتها العظيمة بتشجع جداً الطفل الهادي، المسالم، اللي زي النسمة، اللي بيسمع الكلام، اللي مش بيتقول (أ)، اللي بيشرب اللبن علشان أبوه وأمه يرضوا عنه.. ومدارسنا الجميلة وتعليمنا الإبداعي بيحب جداً الطالب الحفيظ الصامت المصمت، اللي بيذاكر الكتاب المقرر من

الجلدة للجلدة، ويحل نماذج الامتحانات السابقة، ويُبخ كل المعلومات التي عنده في ورقة الإجابة بمجرد ما يشوف ورقة الأسئلة.. ويغرق في شبرميتة لو جاله سؤال من بره المنهج المقدس.. وتليفزيوننا الرائع.. وسينيماتنا الخالقة.. وكليباتنا الحلوة بتتقن بكل إبداع في نشر مظاهر الأنوثة المزيفة بكل تفاصيلها.. والترويج ليها بكل إتقان.. وحقن الشباب والفتيات بيها في جرعات منتظمة وبشكل يومي..

وده كله كوم.. ونظرة كل حاجة وكل حد وكل حتة (من غير تعميم طبعا) في المجتمع والبيت والغيط للرجولة كوم تاني.. راجل يعني صوت عالي.. راجل يعني ما تبكيش.. ما تعيطش.. راجل يعني نظرة قاسية.. راجل يعني عنف وعضلات.. وطبعا ست يعني صوت واطي ويصت في الأرض وطاعة عمياء وخنوع واستسلام ورضا بالقليل وقلّة حيلة وذل ومهانة ما لهاش حدود..

زيّف.. في زيّف.. في زيّف..

تشويه ورا تشويه ورا تشويه..

دفن.. ثم دفن.. ثم دفن..

إجرام.. قبله إجرام.. وبعده إجرام..

فنون من الزيّف.. طبقات من التشويه.. مستويات من الدفن..

وأبعاد من الإجرام في حق النفس.. قبل حق الغير..

أنا مش مفسر للقرآن ولا شيخ ولا أدعي ذلك.. بس إحنا محتاجين نعيد قراءة الآيات دي من قرآننا المعجز السابق لكل عصر وأوان، في ضوء الكلام السابق: "وإذا الموءودة سئلت.. بأي ذنب قتلت"

سورة التكوير (آية ٨ و ٩)

الواد مش بس للبنات الصغار أيام الجاهلية.. الواد ظاهرة إنسانية بتتكرر كل يوم.. كل نفس حقيقية ممكن تتعرض للواد عن طريق التربية القاسية.. كل تلقائية، حيوية، طفولية، إمكانات حقيقية ممكن تتعرض للواد عن طريق رفضها في الصغر.. كل أنوثة حقيقية ممكن تتعرض للواد بألف طريقة وطريقة.. كل رجولة حقيقية ممكن تتعرض للواد بأشكال مختلفة.. كل جزء من نفسك ممكن يتعرض للواد في البيت.. أو في الشارع.. أو في المدرسة.. أو في المجتمع..

خُد نفس عميق بقي.. وفتح عينك على آخرها..

واقرا اللي جاي كويس:

تعرف إيه اللي يخلي (النفس الحقيقية) اللي اتدفنت تظمن وتتونس وتقرر تعود للحياة من جديد؟ إيه اللي يخليني أبقي إنسان حقيقي كامل عايش بنفسي الحقيقية كلها بدون تشويه أو اختزال أو انتقاص؟ إيه اللي يساعد فطرتي إنها تزدهر وتورد وتنور من جديد؟

أقولك يا سيدي..

اللي يقدر يعمل كل ده، هو علاقتة..

أيوه.. علاقتة..

علاقتة إنسانية حقيقية.. توصلك فيها رسايل عكس كل
الرسايل المشوهة اللي وصلت قبل كده أثناء التربية أو التعليم
أو أي تجربة سابقة مؤذية..

هو مش اللي بوظ علاقتة؟

يبقى اللي ها يصلح برضه علاقتة..

علاقتة يوصلك فيها حب غير مشروط.. حب ثابت دائم عميق لا
يتغير بتغير حالاتك أو أحوالك.. حب (موقف) مش حب (حالة)..
حب (مقام) مش حب (حال)..

علاقتة يوصلك فيها إنك مقبول كلك على بعضك زي ما انت..
بضعفك أحياناً وعجزك ساعات وفشلك بعض الوقت.. حتى مع
عدم الموافقة على بعض أفعالك أو تصرفاتك..

علاقتة يوصلك فيها إن اللي قدامك بيهتم بيك لحسابك إنت مش
لحسابه هو.. علشانك مش علشانه هو.. وانه شايفك إنت مش
شايف نفسه أو شايف أي حد ثاني فيك..

علاقتة تحس فيها إنك موجود.. ومتقدر.. ووجودك فارق.. وإنك
تستاهل..

علاقتة ماتكونش مضطر فيها تدفع أي تمن.. علشان ترضي أي
حد..

علاقة فيها مساحات للحريّة والحركة.. مش للتضييق
والاختناق والتشويه والاختزال..

علاقة تكون فيها نفسك.. نفسك وبس..

العلاقة دي ممكن تكون علاقة صداقة.. ممكن تكون
علاقة حب/زواج.. ممكن تكون علاقة علاجية (مهنية) في
إطار علاج نفسي..

وفي الحقيقة أي علاقة (حقيقية) توصل الرسائل دي هي
علاقة علاجية حتى لو ما كانتش في حجرة العلاج النفسي..

موجودة العلاقة دي في حياتك؟ مش موجودة؟ طيب دور عليها
واتمسك بيها.. بسرعتها.. ولآخر العمر.. لأنها هي الطريق.. وهي
الحل.. وهي الجواب..

قبل ما تقوم.. أعتقد إننا كمان محتاجين نعيد قراءة الآية دي
من سورة (الشمس): "ونفس وما سواها.. فآلهمها فجورها وتقواها..
قد أفلح من زكّأها.. وقد خاب من دسّأها".

عارف يعني إيه دسّأها؟

يعني خباها.. يعني دفنها.. يعني وأدها..

أعتقد الصورة وضحت.. والرسالة وصلت.. مش كده؟

يا رب..

ساعدنا إننا نركي نفوسنا ونكرمها..

ساعدنا نعيد ما دفناه من نفوسنا إلى الحياة..

ساعدنا نعيش بنفوسنا الحقيقية.. مش نفوسنا المزيفة..

يا رب..

لا تكلفنا إلا وسعنا.. ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به..

واعف عنا.. واغفر لنا.. وارحمنا..

أنت مولانا..

٣

ليه بنكرر نفس الغلطة؟
عن التكرار القهري

(١)

غالبا المشهد ده من مسلسل (تحت السيطرة رمضان ٢٠١٥)
هايفضل متخزن في عيون وعقول وقلوب كل اللي شافوه
وحتى اللي سمعوا عنه لفترة طويلة جدا..

(علي) رايح يشتري مخدرات من ديلر في قلب الصحراء مقابل
انه يبيع له الموبايل.. يرجع (علي) للعربية ويقول لـ (هانيا):
الموبايل معجبهوش.. خديه وجربي إنتي.. تنزل (هانيا) من
العربية وتروح للديلر.. عيون (علي) تتملي دموع.. ويفاجأ
الجميع بان (علي) بيدور عربيته ويلف.. ويمشي.. ويسيب
مراته (هانيا) للديلر يعتدي عليها في مقابل المخدر.. (علي)
بكل خسة ونذالته.. باع (هانيا).. ورماها في الصحراء بالليل..
لأحد ذئاب البشر..

المفاجأة الأكبر بقي.. والأكثر إدهاشا وذهولاً.. إنه بعدها
بكام ساعة.. باب بيت (علي) يخبط.. يفتح (علي) الباب..
يلاقي (هانيا) قدمه.. راجعا.....الله.. بعد اللي عمله
فيها دم..

وبالمناسبة.. دي مش أول مرة ترجعله.. بعد ضرب أو بعد إهانت
أو شتيمته أو بهدلته..

السؤال الملح بقي: ليه (هانيا) رجعت لـ (علي)؟

طبعا معظم الناس شايضة إنها رجعتله لأنها مالهاش غيرم.. أو إنها رجعت علشان المخدرات.. أو إن (علي) هو الوحيد اللي ييريحها نفسيا.. كل ده صحيح إلى حد ما.. بس على مستوى سطحي شوية.. إنما فيه أسباب تاني كثير.. على مستويات نفسية أعمق..

وده هايخليني أرجع معاكم بالزمن لورا شوية..

(٢)

في مرة دخلنا أنا واتنين أصحابي فيلم سينما كان اسمه (The Others).. فيلم مرعب ومخيف جدا.. لدرجة إنه في أحد مشاهد الفيلم الأخيرة، معظم الناس اللي في السينما صرخوا بصوت عالي أوي.. لما اكتشفوا إن كل أبطال الفيلم كانوا (أموات)، وإن اللي كنا متصورين إنهم أشباح وأرواح طلّعوا (أحياء).. وكان أحد أصحابي ذول هو صاحب الصرخة الأعلى والأطول والأكثر رعبا في السينما كلها..

المهم.. بعد ما خرجنا.. قررنا ندخل فيلم تاني علشان نغير المود.. وكانت المفاجأة إن صاحبنا ده كان مصمم إنه يدخل نفس الفيلم مرة تانية.. أيوم.. نفس الفيلم.. رغم إنه بالنسبة له كان تجربة مخيفة ومرعبة وقاسية جدا..

اعتقد إن أول خيط في إجابة السؤال يبدا من هنا ..

الخيطة الثاني كانت ملاحظة مهمة لاحظها كثير من علماء النفس والمعالجين النفسيين من أول فرويد لغاية دلوقت.. وهي إن بعض الناس عندهم نزعة شديدة وميل غريب لتكرار بعض التجارب المؤلمة اللي في حياتهم.. يعني حد يتعرض لخبرة سيئة.. يقوم يحاول بعدها يهيئ كل الظروف والأحداث والأشخاص (نفسهم أو زيهم) ويكرر نفس الخبرة السيئة دي تاني.. واحدة تم الاعتداء الجنسي عليها وهي صغيرة.. تكبر ويتحول سلوكها لواحدة بتدور على اللي ينتهكها جنسيا.. أو تشتغل فتاة ليل وتتفنن في بيع نفسها وجسمها.. واحد اتظلم واتهان واتعرض لمعاملة قاسية.. بعد شوية تلاقيه بيدور على اللي يظلمه ويروحله.. وعلى اللي يعامله بقسوة ويشبظ فيه.. حد تاني دخل في تجربة عاطفية مؤلمة وانتهت بالفشل.. يقوم لما يجي يدخل في تجربة تانية.. يختار سكتة زي السكتة القديمة.. وشخصية زي الشخصية اللي فاتت.. ويكرر نفس التجربة.. ويعيد نفس الألم.. وينتهي إلى نفس النهاية..

ده اسمه في التحليل النفسي (التكرار القهري) Repetition Compulsion، ويكون له عادة سبب من أربعة..

الأول هو إن الواحد يعيد سيناريو نفس الأحداث القديمة بكل تفاصيلها وأدوارها وظروفها علشان نفسه ينهيها نهاية مختلفة غير اللي انتهت عليها قبل كده.. يعني مشهد صعب في حياته ومش محلول جوام.. يعيد صنعه وتركيبه كل شوية مع شخص أو أشخاص جداد يلبسهم الأدوار القديمة (أو حتى نفس الأشخاص القديمة) علشان يحل معاهم اللي معرفش يحله قبل كده.. ويعمل نهاية جديدة وسعيدة ومريحة بدل النهاية البائسة السابقة..

السبب الثاني هو إن الواحد غالباً بيكون في تجاربه المؤلمة الأولى ضعيف ومضطّر ومش بإيده أي حيلته.. وكل حاجة بتكون اتعملت غصب عنه ومش بإرادته.. وحس وقتها بالذل والانكسار والمهانة.. فيجي دلوقت يعمل كل ده تاني.. بكل حذافيره وتفصيله.. بس بمزاجه وإرادته وكامل وعيه.. يعني تبقى المرة دي (بيدي لا بيد عمرو).. فيحس (ولو إحساس مزيف) إنه له السيطرة على الأمور وله التحكم في الأحداث..

السبب الثالث هو إنه كان في اللي حصله قبل كده (الضحية).. كان مُستسلم ومغلوب على أمره.. فيرجع المرة دي لينتقم.. يرجع شريط حياته لورا ويكرر نفس التجربة مع نفس الحد (أو مع حد جديد) بس يكون المرة دي هو (الجاني).. وياخد بتاره..

السبب الرابع بقى (ومش الأخير) هو إن كثير من اللي بيتعرض لتجارب وخبرات مؤذية وقاسية في حياته بيحس بالذنب إنه ما دافعش عن نفسه.. أو إنه هو اللي وُضِل نفسه لكده.. أو إنه هو اللي ساعد الطرف الثاني إنه يُؤذيه.. وده بتحسه كثير من البنات ضحايا التحرش والاعتصاب (بفعل عوامل نفسية ومجتمعية وثقافية كثير).. فيبدأ ينتقم من نفسه.. ويعذبها.. ويجلدها.. بتكرار نفس الأحداث.. واستدعاء نفس الأذى.. واستعذاب نفس الألم..

فيه بعض الناس بتستلذ بتعذيب نفسها.. وجلد ذاتها.. ناس بتعمل دماغ من الألم.. ويتستعذب الوجع.. ذول بكل بساطة.. بينتقموا من أنفسهم.. أو بينتقموا من غيرهم في أنفسهم..

(٢)

أنواع العلاقات البشرية كثيرة جداً.. وطبيعتها معقدة لأقصى حد.. ومن أصعب العلاقات اللي ممكن نشوفها هي العلاقة اللي البنت بتختار فيها صاحب أو حبيب أو زوج يكون Abuser (مستغل)، أناني وطماع ومؤذي ليها نفسياً وعاطفياً وجسدياً.. مش بس كده.. ده هي في العلاقة دي بتكون متمسكة بيه جداً.. وتحارب الدنيا كلها علشانها.. ولو سابها ترجعله.. ولو غاب عنها تحن له.. وما تستحملش فراقه ولا بعده أبداً.. برغم البهذلة والاستغلال والأذى.. لا وكم ان إيه.. في حالة ما يفترقوا عن بعض لأي سبب.. تدور على حد له نفس المواصفات.. وترتبط بيه.. وتعيد الكرة من الأول.. بنفس تفاصيلها..

إحدى مريضاتي كانت بتوصف العلاقة دي وأصولها وأسبابها وأثرها في حياتها، أحسن من أي كتاب أو مرجع علمي:

أثناء طفولتها أبوها كان غائب.. مسافر.. مش موجود.. كل علاقته بمراته وبيته إنه بيشتغل وبيجيب فلوس.. أمها كانت موجودة بس مش موجودة.. زي الحاضر الغائب كده.. يعني أه هي موجودة بجسمها معاها في بيت واحد.. لكنها

مشغولة بنفسها واهتماماتها وأصحابها وتليفوناتها أكثر من انشغالها ببنتها وتفاصيل حياتها.. الرسالة النفسية اللي وصلت للمريضة في البيت ده هي: إنتي مش مهمته.. إنتي ما تستاهليش إننا نهتم بيكي.. إنتي وجودك مش فارق معانا.. أب وجوده/ غيابه كان مؤذي.. وأم وجودها/غيابها كان برضه مؤذي..

الطفل اللي توصله رسايل نفسية بالشكل ده.. غالبا مش هايصدق عن نفسه طول حياته غير حاجة واحدة بس.. إنه ما يستاهلش.. وإن وجوده مش فارق مع حد.. ومش بعيد يتربى جواه إحساس رهيب بالذنب.. على حاجة هو ما يعرفهاش أصلاً..

الطفل هايخزن السيناريو ده جواه.. وهايكرره طول حياته.. علشان يا إما يحله.. يا إما يؤكده.. هاي دور على ناس ليهم نفس مواصفات الأب أو الأم.. ويعمل معاهم علاقات إنسانية عميقة.. ويا إما يوصلوله رسايل عكس اللي وصلت قبل كده (وغالبا ده مش بيحصل).. فيصدق إنه يستاهل.. وإن وجوده فارق.. ومهم، وتتحل العقدة.. أو يوصلوله نفس الرسايل القديمة (وده الأغلب الأعم).. ويتأكد عنده إنه ضحيتة.. وانه غير مسئول..

ده اللي عملته المريضة دي بالضبط..

وتبدأ هنا باقي الخيوط تتجمع..

المريضة قررت إنها تكرر مشهد عيلتها بكل تفاصيله مع الشخص اللي كانت بتحبه..

كانت بتدور على أب.. له نفس مواصفات أبوها.. الأناى الطماع المؤذى (مع اختلاف شكل الأناىة والطمع والأذى) .. وأول ما لقيته.. مسكت فيه.. واتعلقت بيه..

كانت مصدقة عن نفسها إنها ما تستاهلش.. وقررت تكمل حياتها ما تستاهلش.. وتدور على اللي يثبت لها ده ويؤكد هولها طول الوقت.. علشان ده اللي عاشته.. واتعودت عليه..

كانت مستنىة تحس مع حبيبها - زي ما كانت مستنىة تحس مع أبوها- إنها موجودة.. حتى لو كان التمن إنه يؤذيها.. بس هو إذاها.. ولغى وجودها.. زي ما أبوها عمل بالضبط..

في أعمق أعماقها، كان عندها احتمال ضعيف جداً إنها تغيره وتخليه بني آدم بجد.. لأنها معرفتش تغير أبوها وتخليه بني آدم بجد.. بس ده ما حصلش.. وما كانش هايحصل..

كانت بتنتقم من أبوها وأمها ومن إهمالهم وأذاهم ليها.. وكانت مصرة على الانتقام.. بالرغم من كل فرص النجاة..

كانت بتنتقم منهم في نفسها.. وبتؤذي نفسها بالنيابة عنهم.. كانت بتنتحر بالبطنىء.. وبتستعذب ده وبتستلذ بيه..

كانت عاوزه تثبت لنفسها طول الوقت إنها ضحية.. زي ما كانت وهي صغيرة.. بس في الحقيقة.. هي دلوقت مش ضحية.. بالعكس.. هي دلوقت جانية على نفسها.. هي دلوقت مسئولة

ومختارة.. وكل مزة كانت بترجع فيها لحبيبها كانت بتعيد
اختيارها ليه ولدورها في العلاقة دي بكامل وعيها وكامل
إرادتها..

هي اتظلمت زمان.. بس هي اللي بتظلم نفسها دلوقت..

عاوز تفهم أكثر؟

سيبك من كل الكلام دم.. وشوف كلمات الأغنية دي
(شيرين- فيه حد):

فيه حد ممكن يبقى مش قادر يعيش من غير ألم؟

فيه حد لو سابه اللي ظلم يبقى هيموت من الندم؟

خلتني أخاف على حبي ليك..

أكثر ما أخاف على نفسي منك..

خلتني أرتاح للعذاب وأنا بين أيديك..

علشان بخاف من عذاب البعد عنك..

وقفت حياتي عليك وبس..

وكانني بفرح لو لقيت قلبي اتظلم.

أعتقد إنه مافيش أوضح من كده..

خليك فاكربقى:

كل مرّة انت بترجع فيها للي بيأذيك..

فانت اللي اخترت ده.. وانت اللي قررته.. وانت مسئول..

كل مرّة بتجن فيها للي يحنسك إنك ما تستاهلش..

فانت اللي اخترت ده.. وانت اللي قررته.. وانت مسئول..

كل مرّة بتروح فيها للي يقلل من أهمية وجودك..

فانت اللي اخترت ده.. وانت اللي قررته.. وانت مسئول..

انت.. مسئول.

٤

المواقف غير المنتهية

كام مزة كان فيه بينك وبين مديرك أو رئيسك في الشغل حوار حاد واضطريت تكتم الكلام جواك؟ إمتى آخر مرة كان فيه جواك مشاعر غضب ناحية حد وما عبرتش عنها؟ طيب فاكر لما كلامك اتخفق في صدرك وانت واقف قدام أول واحدة حبيتها وهي بتقولك أسفتم ما ينفعش..

ارجع لورا شوية.. كام كلمة اتحشرت في حلقك قدام المدرس أو المدرسة وهو بيهينك بأي شكل؟ فاكر إحساسك اللي قفلت عليه وانت باصص في عينين أبوك وهو بيعنفك، وما كنتش تملك وقتها غير الدموع وقلته الحيلته؟ أو أختك وهي بتاخذ لعبتك وتلعب بيها وانت متغاضب وهاتطق؟ طيب فاكر الكلام اللي كنت عاوز تقوله لوالدتك قبل ما تموت وما جاتش ليك الفرصة تقوله؟

تفتكر الكلام ده راح؟ تفتكر المشاعر دي اختفت؟ تفتكر المواقف دي اتحلّت؟ أحب أقولك.. لأ..

الكلام ده لسه موجود جواك.. والمشاعر دي ما زالت مدفونته في أعماق أعماق وعيك.. والمواقف دي متخزنته داخلك بكل تفاصيلها في صورة ما يسمى بـ (المواقف غير المنتهية)..

كل واحد فينا جواه متحف.. أه متحف.. متحف من الآثار القديمة اللي انتهى وقتها بس هي لسه عايشته.. وما زالت محتفظه بقيمتها وتأثيرها حتى الآن.. مجموعة من التماثيل هناك.. بعض أفلام الأبيض وأسود هنا.. شوية لوحات هناك.. تحف فنية هنا.. المتحف ده متحف حي وقائم ومؤثر في كل

فكرة وشعور وحركة ورد فعل حضرتك بتقوم بيه.. إزاي؟! حضرتك في مكان ما في عز الصيف وهاتموت من العطش.. وواحد جايبلك كوباية مائة ساقعة مثلجة.. وواحد تاني مستنيك علشان يسألك على حاجة.. هاتختار إيه؟ مهم الأول إنك تنهي احتياجك للعطش (موقف غير منتهي)، وبعدين تتجه لصاحبك اللي مستنيك تشوفه عاوز إيه.. تصور لو عملت العكس.. هاتكون معاه وانت عطشان.. ومش مركز.. ومستعجل.. هاتكون معاه بجزء منك.. مش بكليتك.. مش بكامل وجودك، ولا بكامل طاقتك، ولا بكامل إمكاناتك..

شوف بقى انت جواك كام موقف غير منتهي.. من أيام طفولتك لغاية النهاردة.. وتصور كل موقف منهم وهو شغال جواك في إحدى طبقات وعيك زي شريط السينما المتكرر بدون توقف.. شوف كام حوار بتعمله بينك وبين نفسك كل يوم وكل ليلة مع حد مش موجود.. شوف قد إيه من طاقتك مستنزفة.. قد إيه من تفكيرك مُستهلك.. قد إيه من مشاعرك مُنهك.. قد إيه من وجودك ناقص..

فيه حاجة أكثر خطورة.. طول ما جواك فيه موقف (في الحقيقة مواقف) غير منتهي.. فانت بتشوف العالم والأحداث والأشخاص من خلاله.. وبتحاول تحله بس مع الناس الغلط.. اللي هما مالهومش أي علاقة بالحكاية الأصلية.. بس وقع عليهم اختيار عقلك الباطن علشان يلعبوا أدوار انت راسمها لهم في سيناريو بائس ويائس ومُتكرر للحل والإنهاء..

يعني مثلاً، فجأة وبدون مقدمات تحس إنك غضبان ومتعصب ومش طايق صاحبك.. وفي الحقيقة دي مشاعر باقية من موقف غير منتهي مع أخوك.. فجأة وبدون مقدمات تبقى خايف ومرعوب من أستاذك أو رئيسك في الشغل أو حتى الكاشير في السوبر ماركت، ويكون ده رد فعل قديم من موقف غير منتهي مع أبوك.. فجأة وبدون مقدمات تفهم أي اتنين بيتكلموا مع بعض على إنهم بيتكلموا عليك.. أو تشوف أي واحدة بتبصلك على إنها دايرة في حبك.. أو.. أو..

راجع كده علاقاتك وتفصيلها.. راجع أفعالك وردود أفعالك.. راجع مشاعرك وأفكارك وتصرفاتك.. واكتشف كمية المواقف غير المنتهية المخزونة جواك.. وإزاي وامتى ومع مين..

المواقف غير المنتهية عاملت زي الثقوب السوداء.. بتستهلك طاقتك ووقتك وجهدك ومشاعرك وأفكارك.. وتسيبك مهلهل مشتت بتدور على حاجة انت مش عارفها في مكان أول مرة تروحه..

المواقف غير المنتهية هي أحجار ثقيلة مربوطة في رجلك تحد من حركتك وحریتك وامكاناتك.. زي القيود في الإيدین..

والغمامة على العين.. وسدادات الودان.. تخليك محبوس في عالمك الداخلي بأشخاصه القدامى وأحداثه البالية.. وتحرمك من الحركة.. والمرونة.. والرؤية.. وتجديد الاستقبال..

المواقف غير المنتهية.. من وجهة نظر (معينة) هي اللي ورا كل أنواع وأشكال الأعراض والأمراض النفسية.

طيب نعمل إيه بقى؟
شوف يا سيدى.. قدامك حل من خمسة..

الحل الأول.. إنك ترجع بالزمن للموقف الأصلي.. وتحله.. وده طبعا.. في ظل أبعاد الزمن الخطيَّة اللي نعرفها حاليا.. مُستحيل..

الحل الثاني.. إنك تفضل زي ما انت.. مسجون في الماضي.. ودابير في ساقية الحاضر وانت مغمي عنك.. بتحاول تحل مع الناس الغلط.. وتحاول تنتهي في الوقت الضايع.. وده حل مرضي مش هايعمل أي حاجة غير إنه يزيدك عمى وصمم وأسى.

الحل الثالث بقى.. إنك تروح بالفعل للشخص اللي بينك وبينه موقف غير مُنتهي.. وتنتيه نهايةً مختلفة.. يعني تقول اللي كان نفسك تقوله.. أو تعمل اللي كان نفسك تعمله.. وتخليك جدع ومسئول وشجاع.. وغالبا وقتها هاتكتشف إن مُعظم مخاوفك كانت سراب.. ومُعظم تصوراتك كانت غير حقيقية.. وكل حاجة هاتأخذ حجمها.. وتبدأ من أول وجديد..

طيب ولو الطرف الثاني مش موجود.. مش مُتاح.. مسافر.. ميت.. مريض.. تعمل إيه؟

ساعتها تعمل طريقة علاجية بسيطة جداً يستخدمها المعالجين بالسيكودراما.. نجيب كرسى فاضي.. وتخيّل عليه الشخص اللي بينك وبينه موقف غير منتهي.. تحطه قدامك كما هو بصوته وصورته وتفاصيله (وقت الموقف).. وتبدأ تتكلم (طبعا ده في وجود معالج نفسي).. أم.. تفرغ كل اللي متخزن جواك.. كل اللي مقدرتش تقوله.. كل اللي كتمته.. كل اللي ما جاتش الفرصة إنك تعبر عنه.. عاوز تصرخ.. اصرخ.. عاوز تشتم.. اشم.. عاوز تودعه.. عاوز تقوله إنك بتحبه.. عاوز حتى تسلم عليه.. اعمل ده.. ببساطة.. ما تخليش حاجة باقية جواك.. حل.. وانهي.. وكفاية لغاية كده..

أما الحل الرابع.. هو إنك تسامح.. وتعفو.. وتصفح.. وتكون من العاقين عن الناس.. مش بس من الكاظمين الغيظ، وطبعا ده محتاج درجة عالية من النمو النفسي.. ومنزلة مرتفعة من السلام الداخلي.. ومش كل الناس تقدر على ده.. وبعض الناس تقدر عمله بس بعد ما تكون نفذت الحل الثالث.. علشان ساعتها يكون بالفعل (عفو عند المقدرة)..

الحل الخامس والأخير.. هو إنك تكون من المحسنين.. يعني مش بس تعفو وتصفح.. لا.. كمان تحسن لمن أساء إليك (الكاظمين الغيظ والعاقين عن الناس والله يحب المحسنين).. ودي أعلى درجات النضج النفسي.. وأسمنى درجات السلام الروحاني.. ويرضه مش كل الناس تقدر تعمل ده.. وبعض الناس بيعملوه بعد تنفيذ الحل الثالث والرابع..

هام.. نويت على إيه؟!

تفضل زي ما انت؟ في حواراتك الداخلية اللي مش بتخلص.. ولا هاتخلص.. غير لما تخلص عليك..

تفضل في مواقفك غير المنتهية؟ اللي بتاكل منك زي النار في الهشيم.. وتعيشك غير مكتمل.. وتحرمك من أجمل ما فيك..
تفضل في سجنك القديم العتيق؟ سجن الماضي بأشخاصه وأحداثه وأماكنه..

تفضل في عالمك الداخلي المغلق على نفسك؟ واللي مش بتسمع ولا تشوف ولا تحس فيه غير أسطوانات مشروخة مكررة..
ومشاهد قديمة بالية..

واللا تبدأ.. وتحل.. وتنهى..
هنا.. ودلوقت..

٥

مشاعرك الي هي مش مشاعرك

المشهد الأول: في عيادة الطبيب النفسي

- انت ليه دايمًا زهقان ومتضايق مني يا دكتور؟
- ايه ده؟ مين اللي قال كده. بالعكس. أنا مرحب جدًا.. ده شغلي..
- بس انت مش بترد على تليفوناتى، ومش بترضى تديني ولا دقيقة واحدة زيادة بعد انتهاء مدة الجلسة..
- أه علشان دى قواعد العلاج..
- وكل ما تشوفني تعبيرات وشك بتتغير، وتكشر، وزي ما تكون شايل هم تقيل..
- بدأ الدكتور يهزرجله، ويتأفف..
- شايف يا دكتور.. أديك بدأت تتوتر..
- ينظر الدكتور في ساعته، وعليه علامات الضيق والزهق..
- تلاقيك بتقول من جواك دلوقت إمتى الجلسة تخلص!
- تنتهي الجلسة بالفعل، وعلى موعد الجلسة التالية يكون الدكتور مشغول شوية فيؤخر موعد الجلسة ساعة، وبعدها بجلستين يقرر تحويل المريضة لدكتور زميله علشان يتابعها..

المشهد الثانى: زدهة منزل زوجين حديثي الزواج..

- إنت ليه متأخر كده النهاردة.. كنت فين؟
- مدير الشركة كلفني بحاجة كان لازم تخلص النهاردة.

- وايه ريحة البارفان الغريبة دي؟

- غريبة إزاي.. ده البارفان اللي إنتي جايباهولي من أسبوع!!

يذهب الزوج ليأخذ حمامه المعتاد وعليه كل علامات الدهشة والضييق، وتبدأ الزوجة كعادتها في استكشاف تليفونه المحمول. بعد ثلاث سنوات، يضعف الزوج أمام سكرتيرة الشركة التي تراوده عن نفسه منذ أكثر من خمس سنوات قبل زواجه، والتي كان يقاومها بكل طريقة حفاظاً على بيته وأسرته..

المشهد الثالث: مشهد خارجي أثناء تمثيل أحد المسلسلات..

- الممثلة الشابة للمخرج: حضرتك عاوزني أستخدم

كل تعبيرات وشي وجسمي وأعبر عن غضب شديد

جداً.. مش كده؟ بس أنا دلوقت معنديش أي غضب

جوايا ناحية أي حد!!

- المخرج: طيب أنا هاساعدك..

يجلس المخرج أمامها ويطلب منها النظر المباشر في عينيه..

ويستحضر في ذهنه أحد مشاهد حياته التي يشعر كلما

يتذكرها بغضب شديد.. تظهر عليه بالفعل علامات الغضب،

حيث يقتضب حاجباه، وتنتفخ أوداجه ويتطاير الشرر من

عينيه..

- الممثلة الشابة: أنا فعلاً دلوقت حاسة إنني متضايقة

وبدأت أغضب..

ساعات حد يكون مليون من جواه خيانتة وكذب وخداع..
ويبدأ يرمي ده عليك ويحسسك إنك دايماً مشكوك فيك ودايماً
موضع اتهام.. لغاية ما حضرتك تبدأ تعمل ده فعلاً..

وساعات حد يكون مليون غضب، بس مش بيعبر عنه، أو
حب ومش بيعبر عنه، أو حتى كره ومش بيعبر عنه.. وينفس
طريقة الضغط والإقناع دي يوصلك إنت إنك تعبر عن اللي جواه
هوم.. ولا أنت واخذ بالك.. ولا هوه كان واخذ باله..

انت عارف كام مرّة وقعت في الفخ ده؟ انتي عارفتي كام مرّة
حسيتي أحاسيس مزروعة فيكي ومش بتاعتك؟

الحكاية دي اسمها العلمي Projective Identification ، أو
التقمص الإسقاطي.. يعني حد يسقط (يرمي) جواك حاجتة
بتاعته هو، وانت بكل بساطة ودون وعي تستقبلها وتاخذها
وتتقمصها وتبقى بتاعتك.. وطبعاً فيه تفسيرات علمية كتير
للظاهرة دي..

الموضوع ده بيحصل على مستوى الأفراد.. يعني واحد يزرع
مشاعره اللي مش عارف يقبلها في نفسه أو يحتويها، جوه واحد
تاني.. فالتاني يلاقي نفسه بيحب ويكره ويهق ويغضب
ويخون ويزور..... بدون مبرر وبشكل غير طبيعي. ونصوا للي
بيحصل بين الأصدقاء وبين الأزواج ومن موظفي الحكومة اللي
عندهم القدرة على تحويلك في ثوان من إنسان شريف عفيف
محترم إلى حد بيزوغ ويرشي ويخلص حاله..

ويحصل كمان على مستوى المجموعات أو العائلات.. يعني مجموعة (أو عائلة) تزرع مشاعر معينة جوه واحد أو جوه مجموعة أخرى.. مجموعة تزرع جوه واحد إنه فاشل.. إنه سيئ.. إنه ما يستاهلش (مع إن ده يخص المجموعة نفسها مش الواحد ده أبداً).. وهو يصدق وممكن يعيش حياته كلها بهذا الإحساس.. ومجموعة أخرى تزرع جوه واحد إنه أحسن واحد في الدنيا، وما فيش زيه.. لغاية ما يصدق ويعيش بهذا التصديق ويمارسه عليهم هم أنفسهم..

ويحصل على مستوى المجتمعات والثقافات والدول.. من أول المجتمع اللي يوصم حد بالخيانة والعمالة لغاية ما يخليه خاين وعميل فعلاً.. لغاية ما دولة زي أمريكا تصف دولة أخرى بالإرهاب لغاية ما تخليها إرهابية فعلاً، مع إن أمريكا هي أضل الإرهاب ومصدرته لكل دول العالم.

أخطر ما في هذا الموضوع إنه ممكن يحول بني آدم إلى بني آدم آخر مختلف تماماً..

والأخطر إنك دايماً مسئول ومالكش عُذر ولا حجة.. أنت اللي سمحت إن حد يلبسك الدور، وانت لبسته.. وانت اللي وافقت إنك تكون جزء من سيناريو بتاع حد ثاني مش بتاعك.. وانت اللي فتحت حدودك علشان حد غيرك يدخلها ويزرع جواها حاجة مش بتبعك..

طبعاً اللي بيلعب اللعبة دي بيبقى جواه هدف وعاوز يوصل
لنتيجة ولو بغير وعي أو عن غير قصد واضح.. يعني لما حد يطلع
الغضب من كل اللي بيتعاملوا معاه يبقى عاوز يثبت لنفسه
إن كل الناس مش بتستحملة.. واللي بيحرك الكره في اللي
حواليه بيبقى عاوز يثبت لنفسه إنه مرفوض وما يستاهلش
يتحب، وإنه مظلوم وضحية.. واللي بيفخم في غيره ويقدمه
ويؤلهه بيكون عاوز يفضل صغير واعتمادى وغير مسئول..
باختصار.. دي لعبة قديمة ومستهلكة وعقيمة مالهاش
هدف غير الهروب من المسؤولية وتثبيت فكرة خاطئة ومشاعر
بالية وتكرارها مرّة ومرّة ومرات..

طيب وبعدين؟!

جوه كل حد فينا فلتر.. أيوه فلتر.. بس يمكن انت مش واخذ
بالك من وجوده لأنك ما استخدمتهوش قبل كده.. مطلوب منك
كل يوم إنك تستخدمه، وبعد شويه هاتتعلم تستخدمه كل
ساعة وكل دقيقة.. وكل ثانية..

أول ما تلاقي فيه مشاعر جواك غريبة عليك وعلى فطرتك
وطبيعتك.. على طول استرجع إيه اللي حصل قبلها.. قابلت
مين؟ اتصلت بمين؟ شوفت إيه في التلفزيون أو السينما أو
الشارع أو الشغل؟ اتعاملت مع مين.. فين.. ليه.. إزاي؟

وابداً استخدم الفلتر.. ونقي نفسك من شوائب الآخرين اللي
اتخلصوا منها عندك.. وارمي لكل حد حاجته اللي رماها
جواك.. علشان تعرف تبدأ دورة جديدة من تنقية نفسك..
كل يوم..

دورة جديدة .. من تنقية نفسك.. كل يوم..

٦

علاقات خطرة

فيه أنواع كثير جداً من العلاقات بين البشر..
من أخطر الأنواع دي على الإطلاق.. علاقة (الحبل السرى)..
وعلاقة (العمى)..

علاقة (الحبل السرى)

دي بيكون فيها أحد الطرفين هو مصدر كل حاجة بالنسبة
للطرف الثاني.. أو بالأحرى.. أحد الطرفين بيخلي الطرف الثاني
هو المصدر الوحيد لكل حاجة.. هو المصدر الوحيد للحب.. هو
المصدر الوحيد للأمان.. هو المصدر الوحيد للحياة..

كثير أوي من الأمهات بتوصل لأولادها (بالقول وبالفعل) إنها
المصدر الوحيد لكل حاجة، فيلرزقوا فيها وما يستغنوش عنها،
وده يطمئنها ويؤنس وحدتها على حسابهم وحساب حياتهم
ومستقبلهم وساعات جوازاتهم.. ده لو اتجوزوا..

وكثير أوي من الأزواج بيخلي نفسه المصدر الوحيد لكل
احتياجات زوجته المادية والمعنوية علشان ما يبقاش ليها في
الدنيا غيرهم.. ولا أصحاب ولا شغل ولا حتى أهل..

وأمثلة تانية كثير بين الأصدقاء والأحباب والأقارب وغيرهم..
الطرفين في العلاقة دي بيستفيدوا.. طرف ييبقى شديد
الاعتمادية والسلبية والراحة وكل حاجة تيجي لغاية
عنده.. وطرف ييبقى متصور إنه المنقذ والمخلص والبطل والبئر
التي لا تنضب وساعات الإله المعطي المانع.. وكان فيه حبل سري
خفي رابط بين الطرفين.. بس رايح جاي..

العلاقة دي مؤذية ونكوصية وفاشلة، وغالباً اللي بيعملها
مزة بيتعود عليها وتبقى زي الإدمان.. دي علاقة طرف فيها
بيمص دم الثاني.. وطرف بيستعبد الثاني ويعيشه بدون أي
مصدر آخر أو بديل مُحتمل..

ما فيش حاجة اسمها (أنا وانت ولا حد تالتنا).. ما فيش حاجة
اسمها (إنت مالي الدنيا عليا) وباقي كلام الأغاني اللي بيشرح
على هذا النوع من العلاقات طول الوقت..

ما فيش حاجة اسمها (إنت كل حاجة بالنسبة لي).. لأن (كل
حاجة) ده لو اختفى أو اختفت.. يبقى الدنيا انهارت.. والحياة ما
بقاش ليها معنى.. ويبقى أمراض نفسية ما لهاش أول من آخر..
وساعتها الكل بيدفع التمن..

دائماً خلي فيه بدايل..

دائماً خلي فيه ناس..

دائماً خلي فيه ربنا..

علاقة (العمى)

دي بقى من العلاقات المؤذية والمشوهة جداً بين البشر.. في النوع
ده من العلاقات فيه طرف مش بيشفو الطرف الثاني أصلاً..
بمعنى إنه بيكون جواه مشاعر قديمة متخزنة ناحية حد
ثاني (حبيب قديم، مدرس من زمان، صديق، وصولاً للأب أو الأم)
ويتعامل مع شريكه في العلاقة بنفس المشاعر دي..

مش بس نفس المشاعر.. لا ده كمان نفس ردود الفعل.. ونفس
طريقة التفكير والاستقبال القديمة، كأنه شايف وسامع
وحاسس الحد الثاني ده بالضبط.. بس وهو مش واخد باله..
وشريك العلاقة مش واخد باله برضه..

يعني واحد يشوف واحدة في الشارع ولا يعرفها ولا عمره شافها
قبل كده ويحس ناحيتها بحب رهيب من غير أي سبب وبدون
أي مقدمات.. وهو مش عارف إن الحب ده قديم جداً، وجواه من
زمان ناحيته حد ثاني خالص (مدرسته في ابتدائي أو أمه مثلاً)،
وهو لبس البنات المسكينة صورة الحد ده..

أو حد يحس بغضب شديد جداً ناحيته حد معملش حاجة
تستاهل هذا الكم من الغضب.. وهو برضه مش عارف إن ده
غضب مخزون جواه ناحيته حد ثاني خالص (أبوه مثلاً)، وهو
برضه لبسه صورة الحد ده..

كثير أوي من علاقاتنا الحياتية بتكون بهذا الشكل.. الحب
من أول نظرة.. والكراهة من أول كلمته.. والغضب غير المبرر..
وكثير من الخناقات والمشاكل الزوجية، وساعات كمان
مشاعر جنسية..

طيب نعرف إزاي إذا كانت مشاعرنا ناحيته حد مشاعر
حقيقية ناحيته فعلاً، واللامشاعر قديمة مكبوتة بس تمت
إعادة توجيهها؟

أول ما تلاقي مشاعرك ناحية حد كثيرة جداً.. وسريعة جداً..
ويدون سبب أو مبرر كافي.. اعرف فوزاً إنك (غالباً) مش شايف
حتى لو كنت باصص.. ومش سامع حتى لو كنت مُصغي..
ومش حاسس حتى لو كنت مُستقبل..

ساعتها..

افتح عينيك.. وشوف من جديد..

وافتح ودانك.. واسمع من الأول..

وافتح إحساسك.. واستقبل صح..

٧

أنت وعالمك الداخلي

كل واحد فينا عايش في عالين متوازيين.. عالم خارجي وعالم داخلي..

العالم الخارجي هو العالم اللي انت واعي بيه.. بتشوف وبتسمع ويتحس.. ناس وأصوات وأحداث وأماكن وأزمنة..
العالم الداخلي بقى ده حكايته حكايته..

تصور إن جواك نسخة من كل حد انت على علاقة بيه في حياتك.. نسخة حية ليها صوت وصورة.. وبينك وبينها مشاعر حب أو كره أو غضب أو امتنان أو.... إلخ.. كل حد مهم بتقابله في مشوار عمرك بتخزن منه نسخة جواك، ومعها كل مشاعرك ناحيته (وقت تخزين هذه النسخة).. يعني حضرتك جواك نسخة من والدك.. نسخة حية رباعية وربما خماسية الأبعاد.. بتتكلم معها وترد عليك وتتخايق وتتصالح وتتفاعل تفاعلات إنسانية كاملة، سواء في وعيك الظاهر (وانت واخذ بالك يعني) أو في مستوى الوعي الباطن اللي انت مش حاسس بيه ولا تعرف عنه أي حاجة.. أبسط صورة لهذه التفاعلات بتحصل لما والدك يغيب عنك ويوحشك.. تيجي حضرتك بكل بساطة تستدعي وتستحضر نسخته، صورته جواك علشان تفتكره وتتونس بيه وتدعيه.. أو لما تعمل أي حاجة غلط، تبص تلاقى حاجة كده طلعت من جواك تقولك (لأ) ده غلط أو ده عيب أو ده حرام..

جواك نسخة حية من والدتك.. متخزنة من أول أيام عمرك..
ومعها مشاعر الحب والرضا نتيجة حنانها واهتمامها ببيك، أو
الكُره والغضب نتيجة قسوتها أو إهمالها معاك..
جواك نسخ من إخوانك.. من أصحابك.. من مدرسيك في ابتدائي..
من زميلك وأصدقائك.. من زوجتك وأولادك.. من جيرائك.. من
كل حد انت على علاقة بيه في حياتك.. جواك نسخ من
الأماكن المهمة بالنسبة لك بكل تفاصيلها من جدران وأبواب
وشبابيك ومقاعد وحتى رائحة الهواء فيها.. وكل نسخة
مرتبطة معها بمشاعر معينة تخص صاحب هذه النسخة وقت
تكوينها وإدخالها في عالمك الداخلي..

النسخ دي المفروض إن حضرتك تعملها Update (أب - ديت)
كل شوية.. يعني لما الشخص اللي قدامك يتغير أو علاقتك بيه
تتغير سواء للأحسن أو للأسوأ، تضاهي ده بالنسخة القديمة
وتحدثها.. علشان ما تظلمش حد في صورة قديمة انت واخذها
عنه ومثبته فيها.. وعلشان تسمح لنفسك تجدد دماء عالمك
الداخلي كل فترة وأخرى.. حتى نسختك الداخلية عن نفسك
محتاجة تتجدد وتتغير بتغيرك وحركتك النفسية بمختلف
إيقاعاتها..

تصور بقى حد قابل في حياته - خاصة في سنينها الأولى- ناس
عاملوه بقسوة أو بإهمال أو بحب مشروط أو بعدم قبول أو عدم
احترام أو إهانة (أو على الأقل هو شافهم واستقبلهم كده)..
تفتكرها يخرن للناس ذول نسخ شكلها إبيه في عالمه الداخلي؟

وحوش طبعا.. ده كلام بجدي.. هايكون جوه عالمه الداخلي وحوش.. أصل العالم الداخلي ده لغته هي الصور.. والمشاهد الخيالية.. والأحداث الدرامية.. يعني هايكون جواه غابته.. مدينة أشباح.. غيلان وديناصورات وثعابين وكائنات سوداء مجنحة ومصاصين دماء.. هايكون جواه خناقات ومطاردات وحروب وأصوات قنابل وصراخ وعويل.. وتكون أحلامه عبارة عن حلقات يومية من مسلسل زعب مستمر..

اللي عالمه الداخلي بالشكل ده هو مريض نفسي من الدرجة الأولى.. يطلع عنده اكتاب.. يطلع عنده توتر.. يطلع عنده اضطراب في الشخصية.. أو تقوم أخيرا غيلانه وعمالقتة الداخلية بتحطيم واختراق العاجز الهش اللي بين العالم الداخلي والعالم الخارجي وتغزوه، ويبدأ يشوفها ويسمعها ويحسها في هلاوس بصرية وسمعية وحسية.

طيب تصور العكس.. حد شاف من اللي حوالية.. بداية من اللي ربوه كل حب وحنان وتفهم واحترام وقبول غير مشروط واستيعاب وسماح.. طبعا هايكون عالمه الداخلي جنة خضراء مليانة ناس طيبين وورود وفل وياسمين وبحيرات وشمس ونور ودفا.. وأحلامه هاتكون بالطبع جرعات هادئة من السعادة والشبع والرضا..

اللي عالمه الداخلي بالشكل ده هم أصح الأصحاء.. طيب ولو حد طبيعي زينا يعني، شاف ده وشاف ده.. واتعامل مع ده واتعامل مع ده.. ساعتها هايكون عالمه الداخلي مزيج من

الأول والثاني.. لكن حد منهم هايكون ليه الغلبة والسيطرة..
ويكون على نقطة في خط بياني طويل أوله منتهى المرض
النفسي، وآخره منتهى الصحة النفسية..
طبعا طبيعة العالم الداخلي بتاع كل واحد فينا بتحدد (وده
في منتهى الخطورة) طريقة استقباله للناس والأحداث والأمور..
يعني لو واحد عدى من جنبك وما قالاكش صباح الخير
عالمك الداخلي هو اللي هايحدد إذا كنت هاتستقبله على إنه
بيكرهك أو مطنشك أو حتى بيتأمر عليك.. أو تستقبله على
إنه مش واخد باله أو مشغول أو تعبان شوية..

طيب.. باختصار.. وبدون أي إحراج.. محدش فينا عالمه الداخلي
سليم مية في المية.. محدش فينا ما خدش لقطة لوالده وهو
بيعنفه أو يزعله وخنز اللقطة دي جواه في صورة عملاق
مخيف، محدش فينا ما خدش لقطة لوالدته وهي بتشد ودانه أو
بتخوفه وخنز اللقطة دي جواه في صورة أمانة الغولمة. محدش
فينا مش مخزن صورة أستاذ اللغة العربية بنبرة صوته العالية
القاسية في صورة وحش كاسر.. زي بالظبط ما كلنا مخزنين
صور حية للأب الحاني والأم العطوف والصاحب الوفي والحبيب
الرائعة..

صور.. نسخ.. حياة كاملة.. عالم داخلي موازي.. تجري أحداثه
على قدم وساق.. دلوقت..
حتى وانت بتقرا الكلام دم..

إيه بقى؟

نحل إزاي طيب؟ نصلح إزاي الأجزاء المعطوبة في عالمنا الداخلي؟
إزاي نستبدل الوحوش الكاسرة بوجوه ملائكية مريحة؟
إزاي نحوش الأصوات والصور القبيحة المرعبة ونخلي مكانها
موسيقى متناغمة وزقزقة عصفير وخرير مياه متدفقة..
وورود وشمس وبحر ودفا؟

أقولك يا سيدي..

هو مش اللي عمل ده كله علاقة.. أو مجموعة علاقات.. مع
ناس وصلنا منهم رسائل نفسية سيئة.. وقمنا بتخزينهم برسائلهم
ومشاعرنا ناحيتهم في أبشع الصور والأحداث.. الإجابة أم.. إذن
مش هايصلح ده غير علاقات أخرى يوصلنا منها رسائل نفسية
مختلفة طيبة من قبول وحب واحترام..
علاقات دي كلمة كبيرة؟ أجيب منين أنا علاقات تصلح ده
كله..

شوف.. ممكن علاقة واحدة تصلح كل عالمك الداخلي..
أيوه.. علاقة واحدة بس.. علاقة واحدة بس..

يعني علاقة حقيقية مع واحد صاحبك.. يوصلك منه فيها حب
غير مشروط وقبول واحترام وسماح وتفهم واستيعاب.. ممكن
تغير كل عالمك الداخلي..

علاقة حقيقية مع أستاذك.. يوصلك منه فيها تقدير وقرب
واهتمام.. ممكن تعيد تركيبك النفسي تمامًا..

علاقة حقيقية مع حبيب أو حبيبة.. تكون مليانة صدق وإخلاص ومودة ورحمة ودفا وبراح واحتواء.. كفيلاً بأنها تخليك تتصالح مع كائناتك الداخلية المرعبة، وتشوفهم في حجمهم الطبيعي البسيط، ويمكن تكتشف أغلبهم وضعفهم واحتياجهم..

علاقة إنسانية طيبة.. يصلك من خلالها حب حقيقي (بكل مسمياته ومحتوياته ومكوناته) غير مشروط.. تستطيع أن تحوّل جحيمك الداخلي إلى جنة عدن.. وهي دي فكرة العلاج النفسي..

العلاج النفسي هو محاولة مستحدثة (عمرها بضع عشرات من السنين) لمضاهاة ما تفعله العلاقات الإنسانية الطيبة.. وبغض النظر عن نوع العلاج النفسي.. أو نظرياته.. أو تقنياته.. أو مدته.. فكل طرق وأساليب ومدارس العلاج النفسي تشترك وتجتمع في أن ما يغير المريض ويعالجه ويحوّل مرضه واكتئابه وتوتره وهلاوسه إلى شفاء وبهجته وعمل وإبداع هو ما يسمى (بالعلاقة العلاجية).. اللي مش بتوصل أى حاجة غير حب واهتمام واحترام وتفهم وسماح واحتواء وقبول..

المعالج النفسي.. أو الصاحب المخلص.. أو الأستاذ الحقيقي.. أو الحبيب الرائع.. أو النبي المرسل.. أو حتى صاحب إحدى العلاقات القديمة في نسختة جديدة.. بيكون زي الفارس الهام.. يدخل عالمك الداخلي بكل جسارة وشجاعة.. يحارب.. يكر.. يفر.. يغلب.. يتفاوض.. يداعب.. وأخيراً يصلح..

أه يصلح.. يصلحك على نفسك.. ويصلحك على مكونات
عالمك الداخلي اللي هي جزء منك.. يصلحك على غيرك..
يصلحك على اللي حواليك.. يصلحك على الدنيا.. يصلحك
على الحياة.. ويصلحك على ربنا.. فتتغير.. تتغير شخصيتك..
تبقى بني آدم تاني.. مليون أمل.. وحب.. وحياة..

إذن..

عالمك الداخلي حقيقي أكثر من الحقيقة نفسها.. وبيؤثر في
كل أفكارك ومشاعرك وتصرفاتك وردود أفعالك..
عالمك الداخلي مكون من مجموعة من العلاقات والمشاعر
المخزنة في صور درامية هائلة التركيب وشديدة التعقيد..
عالمك الداخلي بيظهر في أحلامك وفي طريقة مشيتك وفي
علاقتك بنفسك وجسمك والناس وحتى علاقتك برينا..
عالمك الداخلي مهما كان مشوه.. مهما كان مليان بالوحوش
والأشباح ومصابين الدماء.. ممكن علاقة واحدة حقيقية
فيها قبول وحب واهتمام واحترام، تغيره، وتلونه، وتشفيه،
وتعيد تكوينه من أول وجديد..

ممكن تقوم تدور على العلاقة دي دلوقت؟ ممكن تكتشفها
أو تعيد اكتشافها في حياتك؟ ممكن تسمح بيها؟ ممكن
تحافظ عليها؟

الحب يشفي..

الحب يطيب الخواطر..

الحب يصنع الأنبياء..

”والقيتُ عليكِ محبةً مني.. ولتصنع على عيني“ - طه (٣٩)

صدق الله العظيم.

٨

الخروج عن النص

عن فيلم Adjustment Bureau

(١)

(ديفيد) شابٌ سياسي لامع.. ناجحٌ وطموحٌ.. طموحه مالهوش حدود..
رُشِحَ نفسه لانتخابات الكونجرس.. لكن مُنافسه لعب معاه لعبت
قذرة تسببت في سقوطه بالانتخابات..

يوم مؤتمر (ديفيد) الصحفي لإعلان الهزيمة كان نقطة تحول في
حياته.. لأنه قابلها.. قابل (إليس).. فتاة جميلة بس متهورة، رقيقة
بس غريبة.. قريبة بس مش سهلة.. تبدو مجنونة.. لكنها في منتهى
العقل.. تلقائية ومغامرة.. وجواها فنانة على درجة عالية جدًا من
الإحساس، ويتشتغل راقصة باليه..

بعد ما قابلها بدقايق.. وأثناء كلمته أمام جمهوره، قرّر ديفيد..
وفجأة.. وبدون مقدمات.. إنه يخرج عن النص.. النص اللي جهزه
فريق حملته الانتخابية علشان يقوله لجمهوره.. مش بس كده..
ده كمان خرج عن الشكل اللي كان المفروض إنه يظهر بيه قدام
الناس.. من أول الكرافتة لغاية الجذمة.. ديفيد قرّر.. ولأول مرة في
حياته إنه يبقى صادق مع نفسه.. يقول اللي جواه زي ما هو.. يعمل
اللي حاسس بيه بدون أي حسابات أو مخاوف.. ويفتح قلبه.. للخب
الحقيقي.. والحياة الحقيقية..

بعدها بشهر.. (ديفيد) قابل (إليس) بالصدفة تاني.. اتعرف عليها
أكثر.. وقرب منها أكثر.. وحبها أكثر.. وأخذ رقم تليفونها.. وده
كان تاني خروج عن النص.. بس المرة دي.. كان خروج عن النص اللي
السماء (كما يزعم الفيلم) حاطاه لحياته.. والمرة دي كان لازم السماء
تتدخل علشان ترجعه لخط سيره المرسوم.. وهو ما حدث بالفعل..

(٢)

أرسلت السماء فريق (مكتب التسوية) علشان يصلحوا ما أفسده (ديفيد).. وحصلت مواجهة غير متوقعة بينهم وبينه.. عزفوه فيها بنفسهم وبقدراتهم غير المحدودة وطلبوا منه بكل صرامة ووضوح إنه يبعد عن (إليس).. ويرجع لمساره المرسوم.. اللي هي مش جزء منه.. واللي ما كانش المفترض فيه إنه يقابلها ولا يحبها.. والاها يضطروا للتدخل عنيف.. قد يصل لمسح عقله.. ديفيد مش فاهم ولا عارف هما ليه مش عاوزينه يقابلها تاني ويحبها ويكمل معاها حياته.. وفي نفس الوقت فيه حاجة جواه بتنادي عليها وتروح لها.. فقرر وبكل شجاعة وإصرار وتحدي إنه يصدق إحساسه، ويمشي ورا قلبه، ويدور على (إليس).. ملهمته.. بكل شكل.. وبأي طريقة.. وفي كل مكان.. ورغم إنه ما كانش معاه أي تفاصيل عنها أو أي وسيلة تواصل معاها (بعد ما فريق مكتب التسوية أخذ منه رقم تليفونها)، إلا أنه كان عنده أمل.. إنه هايلاقيها.. ديفيد لقي (إليس) بعد ثلاث سنوات من البحث.. والانتظار.. والصبر.. والأمل..

(٣)

جن جنون فريق (مكتب التسوية).. وعملوا كل حاجة.. كل حاجة.. علشان يفرقوا بين (ديفيد) و(إليس) تاني.. لكن إصرار (ديفيد) وتحديه وثباته وتصديقه لإحساسه وعدم خفوت أمله كان أقوى منهم بمراحل.. فاضطروا لرفع (القضية)

لأعلى مُحترف في المكتب.. (طومسون)..

(طومسون) كان رادع.. قاسي القلب.. عنده استعداد إنه يؤذي بدم بارد.. ووسائله في الأذى كثير جداً.. واستخدم أقواها وأكثرها ردعاً.. الإحساس بالذنب..

طومسون قابل (ديفيد) وقاله ليه (مكتب التسوية) عاوز يفرق بينهم: لأن الخطّة المرسومة والنص المكتوب بيقول إن (ديفيد) المفروض يزيد نهمه للشهرة.. وبحته عن حب الظهور.. واحتياجه للتصفيق والإطراء.. لغاية ما ده يوصله إنه يكون رئيس أمريكا.. في حين إن وجود (إليس) جنبه بيسكت جواه ضجيج البحث عن الشهرة، ويكبح رغبته في حب الظهور، ويشبع احتياجه للشوفان والتصفيق والإطراء.. لأنه هيلاقى كل ده فيها.. وفي عينيها.. وفي قربها.. وفي حبها ليه.. وده كفيل بانة يخليه شعبان.. ومبسوط.. وراضي.. وقنوع..

(ديفيد) من غيرها هايحكم أمريكا ويغير العالم.. لكن معاها مش هايحكم ولا يغير غير (نفسه).. وده ما كانش في الخطّة..

طومسون أذى (إليس) لدرجة قد تحرمها من ممارسة رقص الباليه تاني، وده ممكن يحطم كل أحلامها وطموحاتها ومستقبلها وحياتها.. وعلق وقف هذا الأذى على بُعد (ديفيد) عنها.. ديفيد وصلته الرسالة.. وقرر يبعد.. علشان يحميها.. من وجوده معها.. وتوابعه..

(٤)

(ديفيد) فضل محتفظ بالأمل، وماتخلاش عنه، وكان متابع
إليس وأخبارها عن بُعد.. ومستني الوقت المناسب.. وهنا ظهر ليه
أخيراً أحد أفراد (مكتب التسوية) الطيبين.. اللي قرر يساعده
في الوصول ليها مزة تانيّة.. قبل جوازها من شخص آخر..
(ديفيد) قرر ياخذ المخاطرة.. ويستخدم كل طاقته.. وكل
مجهوده وكل قدرته على الإصرار والتحدي والمثابرة وعدم
الاستسلام.. ديفيد فتح كل الأبواب المغلقة.. واخترق كل
طرق المستحيل.. وما وقفش عند أي خوف ولا أي تهديد.. وكان
مستعد يدفع أي تمن.. حتى ولو كان الجنون أو فقد الذاكرة
(أو مسح العقل)..

(٥)

(إليس) في الدقائق الأخيرة قبل الزفاف.. مليانة تردد وحيرة
وتيه.. (ديفيد) يظهر فجأة.. يشرحها أسباب اختفائه وبعده..
كلام غريب جداً مش قادرة تستوعبه.. خطرة.. ومكتب
تسوية.. وناس بتحارب وجودهم مع بعض!! في حين إنها
غضبانة منه جداً وشايفاه ندل ووغد ومش قادرة تسامحه على
اختفائه المتكرر بدون تفسير كل ما تحبه وتتعلق بيه، حتى
إنه سابها وهي مريضة في المستشفى..

وهنا سيكون قدماها اختيار صعب جداً: إما تكمل في حياتها
المرسومة الواضحة التي عارفتها أولها وآخرها.. حياتها التقليدية
التي هاتبداها بعد لحظات مع زوج وفرصة عمل ناجحة
واستقرار مضمون.. أو إنها تخاطر هي كمان وتخرج عن النص..
وتتمرد على الخطة المرسومة.. وتصدق (ديفيد).. وتثق فيه..
بدون شروط.. حتى لو كان.. بحسابات العقل.. بيخرف..
(إليس) وبدون تردد ولا تفكير.. قزرت تخاطر.. واختارت
(ديفيد).. التي قزريقابل مدير (مكتب التسوية) بنفسه..

(٦)

المشهد الأخير

في كل مكان.. وبكل طريقة.. طومسون ورجالته ييطاردوا
(ديفيد) و(إليس).. التي وصلوا لمقر الإدارة وصعدوا لأعلى نقطة
في المبنى.. وتمت محاصرتهم هناك.. للبدء في عملية (مسح
عقلهم) واعادتهم للطريق المرسوم..
وفي لحظة جمعت ما بين اليأس والأمل.. والخوف والرجاء..
والوداع واللقاء.. والحيرة والحب.. والموت والحياة... جت رسالته
من المدير ل(طومسون)..
الرسالة كانت استجابة المدير.. وتغيير الخطة.. واعادة تحرير
النص.. علسان (ديفيد) يكمل مع (إليس)..

كل الكلام الجاي ما لهوش علاقة مباشرة باتجاه الفيلم
الفلسفي أو العقائدي اللي فيه بعض المغالطات.. لكنه
مستوحى من حاجات كثير منها بعض أفكار الفيلم المتوافقة
مع ثقافتنا وتراثنا وديننا..

الخروج عن النص

كام مزة خرجت عن النص.. وعن الخطمة المرسومة.. وعن
الطريق المعد مسبقاً؟

بلاش كده.. هو فيه كام نص في حياتك.. وكام خطمة
مترتبة.. وكام طريق جاهز ومتفصل على مقاسك؟

من أول ما تتولد.. يبدأ نص الأب والأم.. بتاع اسمع الكلام.. وما
تعليش صوتك.. وما تقولش لأ.. وما تزعلنيش علشان تبقى
شاطر.. واشرب اللبن علشان تدخل الجنة..

وبعدين نص التفوق في المدرسة.. بتاع ذاكر واحفظ ولازم
تطلع الأول وتجييب الدرجات النهائية وتدخل كلية الطب
وتطلع دكتور.. وتحقق حلم أبوك وأمك (مش حلمك انت)..

وبعدين نص المجتمع.. بتاع ضل راجل ولا ضل حيطمة، وإن فاتك
الميري اتمرغ في ترابه، واللي ما لوش كبير يشتريله كبير..

وأخطر من كل ده.. النص الوحيد اللي يحددهولك شيخ أو
كاهن للوصول لرينا.. مع إن طرق الوصول له.. سبحانه وتعالى..
متعددة بعدد الخلق والخلائق..

طيب فاكر لما كنت تحاول تخرج عن النص كان بيحصل ايه؟
فاكر لما كنت بتصدق نفسك وتمشي ورا إحساسك بيكون
ايه رد الفعل؟ فاكر مين كانوا أعضاء (مكتب التسوية)
اللي كانوا بيرجعوك -بطرق كثير قوي- للخطة المرسومة..
والطريق الجاهز.. والنص الأصلي.. كثير أوي.. مش كده؟

فاكر اللعب على وتر شعورك بالذنب وأنت صغير وقد ايه ده
شوه فيك وأذاك؟ طيب فاكر كمية الترهات والكلام اللي
مالوش لازمة اللي كنت بتضطر تحفظه علشان تبخه في
الامتحان.. وبعد ما تخرج تنساه وتحفظ غيره؟ فاكر ده قد
ايه كان قميء وسيئ وبدون معنى؟ طيب فاكر كلام الشيخ
الجيليل معقود الحاجب أو الكاهن العظيم مكفهر الوجه عن
إنك مخطئ وعاصي وكافر لمجرد إنك سألته سؤال بزء النص.. أو
فكرت فكرة بزء الصندوق؟ وإزاي تعامل معاك وكأنه معاه
مفاتيح الجنة والنار.. وكأنه وصي على الدين.. أو على رينا
(جل علاه)..

عرفت مين هما أعضاء (مكتب التسوية) اللي كانوا حواليك
طول حياتك وفي كل مراحلها؟ عرفت كانوا عاوزين منك ايه
طول السنين دي؟ عرفت التمن اللي دفعته.. واللي غالبا ما زلت
بتدفعه..

كانوا عاوزينك تبقى أي حاجة.. غير نفسك الحقيقية اللي
ربنا خلقها.. خلقها حرة.. تلقائية.. عنيدة.. جريئة.. ليها حق
الاختيار وتقرير المصير.. وتحمل المسئولية.. ما فيش بينها وبينه
أي وسيط ولا أي وصي..

كانوا عاوزينك تبقى تقليدي.. عادي.. زيهم.. لا تسأل.. ولا
تفكر.. ولا تحس..

كانوا عاوزينك ما تخاطرش.. وتستسلم.. لكل ما هو زائف
وهش وفارغ..

كانوا بيغروك بنجاح مألوف.. وسكتة معروفة.. وحية
اعتيادية..

والتمن كان تشويهك وتخليك عن فطرتك وانسلاخك
من جلدك.. فتخرج منك نفس مزيفة متكيفة مع النص
المكتوب.. متوائمة مع الخططة المعدة مسبقاً.. لا تسلك إلا
الطريق المرسوم والمرتب والمفصل على مقاسها..

(٨)

لا يرد القضاء إلا الدعاء

تعرف إن عندك القدرة على تغيير الأحداث ومجريات الأمور..

تعرف إنك ممكن تغير القدر.. وترد القضاء..

تصور إنك انت اللي بتحدد موقف ربنا منك..

مش الفيلم هو اللي بيقول كده.. ولا أنا اللي بأدعيه.. ده ربنا
ورسوله الكريم هو اللي علمنا ده.. لما الرسول صلى الله عليه

وسلم يقول "لا يرد القضاء إلا الدعاء" يبقى ربنا إداك في إيدك مفتاح تغير بيه أحداث ومجريات حياتك بإذنه وده برضه هايكون من القضاء اللي هو - سبحانه مقدره بعلمه وقدرته. ولما يقول ربنا عز وجل في الحديث القدسي: "إذا تقرب العبد إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولتاً".. يبقى انت اللي بتحدد موقف ربنا منك.. والبداية دايماً من عندك..

ولما ربنا يقول: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد".. يبقى ما فيش بينك وبين ربنا أي حاجز أو وسيط أو وصي.. يعني وباختصار شديد - حضرتك مالكش حجة..

معاك كل الأدوات المناسبة علشان ترسم خطة حياتك بنفسك.. وتغير الخطة دي بناء على رؤيتك واحتياجاتك في كل مرحلة منها..

ومعاك الإرادة الحرة اللي تحدد بيها الطريق اللي هاتمشى فيه.. ولو ما عجبكش.. تمشي في غيره..

وعندك القدرة على الاختيار.. وإعادة الاختيار.. وإعادة إعادة الاختيار مرة واثنين وتلاتة..

وليك الحق في اتخاذ أي قرار تشوفه في أي وقت تحبه.. من أول هاتفطرايه النهاردة لغاية الإيمان والكفر..

ربنا إداك مفاتيحك في إيدك.. وسلمك عقد ملكية نفسك لفترة محددة بعمرك.. ووهبك حرية وإرادة واختيار وقرار ومسئولية..

أنا مش كاتب الكلام ده علشان أقول خُطبة دينية أو وعظ مباشر.. أنا كاتب الكلام ده علشان أقولك حاجة تاني خالص: ما فيش أي حد من حقه يرسمك طريق حياتك.. ولا أي حد من حقه يحط رجلك على طريق انت مش مُقتنع بيه.. ولا أي حد يملي عليك آراءه وتجاربه الخاصة باعتبارها نصوصاً مقدسة.. مش من حق أي حد يحدد لك اختياراتك.. ولا ياخذ قراراتك بالنيابة عنك.. ولا يخليك تشوف بعينيه أو تسمع بودانه أو تبقى مشروعه الاستثماري الراجح.. أو تحقق حلم حياته اللي ما حققهوش..

أنت كائن مستقل بذاتك.. حر.. ومختار.. ومسئول..

(٩)

مخاطرة الأمل

في علاقته بـ (إليس)، (ديفيد) كانت كل الأبواب قدامه مقفولة.. كان مطازد.. كان مُعرض للخطر في كل خطوة بيخطيها.. وكان الأسهل ليه وليها إنه يكمل مشوار نجاحه وصعوده المضمون..

فريق (مكتب التسوية) كان عنده كل القوى.. وكل الصلاحيات.. طول الوقت..

لكن (ديفيد) كان عنده حاجة أقوى وأهم.. كان عنده أمل.. والأمل دايمًا محتاج حاجتين: إنك تصدق إحساسك.. وإنك تكون مُستعد للمخاطرة.. علشان الأمل مخاطرة..

مخاطرة إنك تسيب اللي تعرفه وتروح للي ما تعرفهوش.. وإنك ترفع أقدامك من على الأرض الثابتة، وتحلق في السما شوية.. قبل ما تلاقي أرض جديدة تقف عليها..

مخاطرة إنك تقتحم المجهول.. وتقبل الفشل والضعف.. وفي وقت من الأوقات.. ممكن تبقى لوحدك..

مخاطرة إنك تستخدم كل مجهودك وطاقتك وقدرتك، وتجيب آخر ما عندك من صبر وإصرار ومثابرة.. عشان توصل..
مخاطرة إنك تشوف مخاوفك وتقبلها وتتجاوزها.. وما تقفش عندها ولا تسمح لها تعطلك..

مخاطرة إنك تبقى مُستعد تدفع أي تمن.. في أي وقت..
أول ما تلاقي في نفسك كل ده.. يبقى عند أمل.. بجد..
ساعتها.. هاتلف مقبض أي باب في اتجاه أملك.. فالباب يفتح..
على مشهد مفاجئ مختلف.. وعالم جميل مُبهج.. وفرحة حقيقية عارمة.. ووصول مُبدع وعبقري..
ساعتها.. مش هاتبقى أي حد غير نفسك..

(١٠)

ترياق الحب

أنا مش هاكتب عن الحب أكثر من اللي اتكتب.. ولا هاخترع كلام جديد.. بس فيه مشهد واحد في الفيلم ده لخص كل الكلام وكل المعاني اللي ممكن تتقال أو توصف الحب..

كل واحد فينا عنده احتياجات نفسية أساسية يتولد بيها ويعيش بيها وطول الوقت يسعى إنه يشبعها من خلال علاقته بالآخرين.. احتياج إنك تتشاف وتتسمع.. ويبقى مرحب بوجودك في الدنيا.. احتياج إنك يتحس بيك.. احتياج إنك تتقبل من غير شروط.. احتياج إنك تحس إن وجودك مهم ومبهج وله معنى عند اللي حواليك.. احتياج إنك تبقى تلاقائي وعلى طبيعتك بدون زيف ولا تشويه.. احتياج إنك تقول (أ) بمنتهى القوة عند اللزوم.. واحتياجات تاني كتير أوي..

الاحتياجات دي لو تم إشباعها أثناء التربية، يبطلع إنسان سوي وصحيح نفسيًا.. وتكبر معاه احتياجاته.. في صورة معقولة وبسيطة.. لكنها لو لم يتم إشباعها منذ الصغر.. بتفضل في صورتها الطفولية الضخمة جدًا وتكبر مع الواحد بشكل مرضي لا يكف عن الضجيج والصخب طول الوقت..

(ديفيد) كان عنده احتياج ونهم شديد للشوفان (إنه يتشاف ويتعرف ويشتهر).. كان بيحب الظهور.. كان بيعشق لمعان عيون الناس لما تشوفه.. كان بيستمع بتصفيق الناس ليه واعجابهم بيه.. والاحتياجات دي كانت موجودة جواه بشكل مرضي لا يشبع ولا يرضى.. لأن كل وسائل إشباعها كانت مزيفة ومؤقتة وغير حقيقية..

(ديفيد) كان جواه فراغ عامل زي الثقب الأسود اللي يبيلع أي حاجة يلاقها قصاده.. بلا نهاية.. وكان الطريق المرسوم ليه (هو) إنه يفضل يطلبها ويسعى إليها ويحاول يشبعها بشكل مرضي ومبالغ فيه.. لغاية ما يوصل لرئاسة أمريكا..

وجود (إليس) في حياة (ديفيد) كان العلاج.. وحبها الحقيقي
ليه كان الحل.. وجودها جنبه كان هو الجواب الشافي
لأسئلته.. وحبها كان الدواء الناجع لوجعه..

في مشهد عبقرى بين (ديفيد) وعضو (مكتب التسوية) الطيب (هاري):
- طومسون كان كاذباً حينما أخبرك بأنه لا يمكن وجودك
بجانب (إليس) لأنها تظهر جانبك المستهتر.
- لماذا إذن يهتمون للغاية؟

- لأنها تكفي يا (ديفيد).. لأنك إذا حصلت عليها، فلن يكون
عليك أن تملأ ذلك الخواء بداخلك بالتصفيق والأصوات.
إذا كان فيه أي حاجة ممكن تشبع كل الاحتياجات
النفسيّة الأساسيّة لأي بني آدم في الدنيا.. فهي خب حقيقي
صادق غير مشروط..

إذا كان فيه دواء شافي لكل الأمراض النفسيّة.. من القلق
وحتى الجنون.. فهو خب خالص من القلب..

إذا كان فيه ترياق لكل العلاقات المسمومة، والتشوهات
النفسيّة المعقدة.. فهو خب أصيل يصل لنخاع الطرفين..

إذا كان فيه سكتة واحدة.. تصل بينك وبين نفسك وبين الناس
وبين ربنا.. فهي سكتة الحب.. في صورته الخام..

الخب هو الإجابة الأخيرة.. على كل التساؤلات..

الخب هو الجراحة الناجحة.. لكل القلوب..

الخب هو كلمة السر.. وروعة السحر.. ومنبع النور..

إلى كل الأمهات والأباء والأصدقاء والأزواج والأحبّة والعشاق..
اقروا الكلام من الأول..

٩

الحاجة إلى الشوفان

اعتقد أن إعلان الأسامي (بتاع إحدى شركات المياه الغازية) هو أكثر إعلان نجح وانتشر بين المصريين في رمضان ٢٠١٤.. الشركة دي كتبت آلاف بل ملايين الأسامي بشكل عشوائي على عبوات منتجاتها..

جد عارف ليه الفكرة دي حققت كل النجاح ده؟
أنا أقولكم ليه..

فيه احتياج عام عند البشر جميعا اسمه (الحاجة إلى الشوفان) Need to be Recognized يعني إنك تحس من الآخرين اللي حواليك إنك متشاف.. إنك موجود.. إنك مهم.. إن وجودك ليه معنى وقيمة وتأثير عند الآخرين.. كلنا مولودين بهذا الاحتياج وهو احتياج فطري جداً وطبيعي جداً، وينبدأ نسعى وراءه ونحاول نشبعه من سنوات وزبما شهور عمرنا الأولى..

الطفلة الصغيرة اللي تلبس فستان جديد وتروح تقول لمامتها: ماما.. شوفي أنا حلوة إزاي! هي في الحقيقة محتاجة تحس إن مامتها شايفها وانها حلوة في عيون مامتها، اللي هي كل العالم بالنسبة ليها في السن دي..

الطفل اللي ساعات يبصرخ ويكسر ويلف ويدور حوالين نفسه، هو في الحقيقة عاوز يلفت نظر اللي حواليه ويتأكد إنهم شايفينه.. يتأكد إنه متشاف..

مهم جداً إننا نرضى ونشبع الاحتياج البسيط ده عند أولادنا.. لأنهم لو كبروا وهما جعائين للشوفان ممكن يعملوا أي حاجة ويدفعوا أي تمن علشان يتشافوا.. علشان بس يتشافوا..

من أول الشخص النرجسي اللي عاوز يكون محور الكون ومحط أنظار الجميع، مروزا بالشخصية الهيستيريونية المهووسة باللبس الملون والماكياج المبالغ فيه جداً والضحكة اللي تسمع آخر الدنيا، وانتهاء بالشخص متوهم المرض اللي بيحس كل لحظة إنه مريض ومحتاج يكشف ويظمن على صحته وأشعته وتحاليله بدون أي مبرر ولا أي سبب.. فقط علشان يتشاف.. فقط علشان يحس إنه موجود.. وانه في بؤرة الاهتمام.. على فكرة.. فيه ناس بتقتل علشان تتشاف.. وناس بتهاجر علشان تتشاف.. وناس بتبيع نفسها علشان تتشاف..

ليه بقى إعلان الشركة دي نجح في مصر بالصورة الكبيرة دي؟

علشان في مصر طول السنين والعقود اللي فاتت صعب أوي تكون فيها متشاف.. صعب أوي تتقدر على اللي بتعمله.. اللي بيذاكر ويجتهد وياخذ الشهادة الكبيرة.. بيكتشف في الآخر إنها مالهاش أي قيمة.. اللي بيحاول يقدم فكرة جديدة أو يعمل بحث علمي تتهافت المجالات والدوريات الأجنبية علشان تنشره بيلاقي نفسه غرقان في غيابات الجهل والروتين والعادية القاتلة.. اللي بيشتغل شغلانة واحدة بيضطر يشتغل شغلانتين.. واللي بيشتغل شغلانتين بيلاقي نفسه في الآخر معندوش وقت إنه حتى يعيش..

علشان الناس عندنا في مفرمة.. بتفرم أي حد يحاول يلبي احتياجه الطبيعي الفطري في إنه يتشاف، أو أي احتياج فطري طبيعي آخر.. علشان معظم ناسنا عايشين تحت الأرض.. تحت أرض الجهل والفقر والمرض.. علشان كده حلم أي شاب صغير هو إنه يهاجر بره.. وإنه يعيش حياة يحس فيها إنه موجود.. ومؤثر.. ومتشاف.. وعلشان كده برضه، النقص الشديد في تلبية هذا الاحتياج بيخلي كثير من الناس حاسس بأهمية زائفة.. كبيرة.. مبالغ فيها.. بدون مبرر وبدون سبب وبدون تفسير..

في أحد تمارين الإحماء بتاع السيكوودراما تمرين اسمه (الأسامي) وفكرته إن كل واحد يقول اسمه وباقي المجموعة تردد اسمه وراه بصوت عالي.. ومش ممكن تتخيلوا وصف كل واحد لما يسمع اسمه وهو بيتنادى عليه بصوت عالي من مجموعة بيكون عامل إزاي.. حد يحس إنه مبسوط.. حد يحس إنه مطمئن.. حد يحس إن الدنيا نورت.. حد يحس إنه موجود.. وكلها تعبيرات مختلفة عن أصل واحد.. إحساس إنني متشاف..

هو ده اللي عملته الشركة.. كل واحد يلاقي اسمه موجود على إحدى عبواتها.. يحس إن الناس شايفاه.. ويتقدره.. ويتفرح بيه.. ويتشيره على الفيس.. ويتعمله لايك.. وصور.. وبوستات.. وما يشبه الأجواء الاحتفالية.. لمجرد اسم.. بس الحكايات مش بس اسم.. الحكايات في الاحتياج اللي ورا الاسم..

نرجع بقى ونقول:

حسس الطرف الآخر (الأولاد.. الأزواج.. الأصدقاء.. وغيرهم) في
علاقتك بيه إنه متشاف.. إنه موجود.. وإن وجوده له قيمة
وتأثير.. وإن وجوده مُفرح.. ومُبهِج.. وجميل.. ومهم.. علشان
البديل مُمكن يكون تمنه غالي أوي..
وكمان لما تحس إنك محتاج الاحتياج ده (إنك تتشاف)، اطلبه..
بدون تردد.. اطلبه بصراحة وبوضوح وبكلام مباشر.. علشان
برضه البديل.. مُمكن يكون تمنه غالي أوي..

١٠

إوعى تكون مدامن..

إوعى تكون مدمن..

العنوان يخض.. مش كده؟

طبعا أول صورة جت في ذهنك أول ما قرئت العنوان ده.. هي صورة واحد مدمن مخدرات قاعد في أوضة لوحده أو في وسط شلّة من أصحابه وبيضرب مخدرات..

أحب أقولك لا يا صديقي.. الإدمان مش بس إدمان مخدرات..

إدمان المخدرات هو بس أوضح أنواع الإدمان وأشهرها.. لكنه مش أخطرها ولا أكثرها انتشارا..

فيه إدمان للجنس.. يعني ممارسات جنسية موتورة ومتابعة بمعدل وطريقة خارج النطاق الطبيعي..

وفيه إدمان للعمل.. يعني تشتغل وتشتغل وتشتغل لغاية ما تنسى نفسك واللي حواليك وحقك على نفسك وحقهم عليك..

وفيه إدمان للعلاقات المؤذية.. يعني تعمل علاقة مع حد يؤذيك نفسيا أو جسديا أو عاطفيا.. وبعد ما تنتهي العلاقة دي.. تدور على حد ثاني بنفس المواصفات.. وتكرر معاه نفس شكل وتفصيل الأذى.. مرة.. ومرة.. ومرة.. ومزات..

وفيه إدمان لدور معين في سيناريو حياتك وتكراره بلا نهاية..

يعني تدمن لعب دور الضحية في كل علاقاتك.. أو تدمن لعب دور الجاني.. أو تدمن لعب دور المنقذ..

فيه إدمان للفلوس..

فيه إدمان للسفر..

فيه إدمان للقرايئة..

فيه إدمان للفيس بوك..

فيه إدمان للوحدة..

فيه إدمان للخوف..

فيه إدمان للعلم (دون تعلم حقيقي)..

فيه إدمان للتدين السطحي المزيف (دون تدين أصيل عميق)..

وطبعا فيه إدمان للحب (المزيف برضه).. لما طرف يتشعلق ويتشعبط بالطرف الثاني.. ويرتبط بيه بحبل سري طويل وسميك وخانق.. ما يعرفش يعيش من غير.. ولا حتى يعرف يتنفس في غيابه.. وتفقد حياته معناها في عدم وجوده..

فيه إدمان لكل حاجة..

كل حاجة..

أقولك على سر..

عارف المدمن بيدور على إيه؟

أوعى تفتكر إنه بيدور على الحشيش أو البرشام أو البودرة
أو اللذة الجنسية أو الفلوس أو... أو... أو أي حاجة من ذول.. لا..
كل دي بدايل.. مجرد بدايل.. وبدايل خيانتة وضعيفة جدًا..

المدمن بيدور على حاجة تاني خاااالص.. حاجة فقدتها من
زمان.. من زمان جدًا..

المدمن عنده ثقب أسود كبير جدًا في نفسه بيحاول يملاه بأي
شكل ويبلغ من خلاله أي حاجة..

المدمن عنده احتياج نفسي أساسي وعميق للغاية.. المفروض
بعد قراءتك للفصول اللي فاتت تكون عرفته لوحدك..

المدمن محتاج علاقة..

أيوم..

المدمن محتاج علاقة مع حد.. بس مش أي علاقة.. ومش أي
حد..

المدمن محتاج علاقة مع حد ما يقولهوش (لا) على الفاضية
والمليانة.. زي ما كان بيتقاله من أبوه وأمه زمان..

المدمن محتاج علاقة مع حد يلاقيه وقت ما يحتاجه.. مش يكون مسافر أو مشغول عنه ومش مهتم بيه..

المدمن محتاج علاقة مع حد يسعده ويبسطه ويفرحه بدون شروط حتى وهو في أتعس وأضعف حالاته الإنسانية.. مش حد يديله ده بشروط حادة وصارمة.. زي إنه يسمع الكلام أو يشرب اللبن..

المدمن محتاج علاقة مع حد يخفف عنه إحساسه العميق بالألم ويطبطن عليه ويطيّب جراحه.. مش حد يدوس على جرحه ويحسسه بالذنب مع كل نفس بيتنفسه..

المدمن محتاج علاقة مع حد يرضيه ويشبع حرمان واحتياج سنينه وأيامه الأولى لغاية ما يفقد وعيه من الشبع وينام من الرضا.. زي الطفل الرضيع في حضن أمه.. مش حد يتفنن في سلبه وحرمانه من حقه في الشبع ومتعته في الرضا..

المدمن اتحرم من علاقة واحدة في حياته توصله ده.. بس لقاها كله في مادة إدمانه.. بغض النظر عن اسمها وطبيعتها: ما بتقولهاوش (لا) على الفاضية والمليانة.. بيلاقيها وقت ما يحتاجها.. بتسعده وتبسطه وهو في أضعف حالاته الإنسانية.. بتخفف إحساسه العميق بالألم لغاية ما يفقد وعيه وينام..

المدمن بقى مدمن.. لأنه محتاج..

شوفتوا فيه كام مدمن حوالينا في الشوارع والبيوت وأماكن
العمل وغيرها وغيرها!!

فيه حد شاف هو شخصيا بيدمن إيه؟

فيه حد شاف هو نفسه محتاج إيه؟

فيه حد هايقوم يدور على البديل الحقيقي من خلال علاقة
(إنسانية) حقيقية؟

يا ريت نبدا..

دلوقت..

١١

دورك في سيناريو حياتك

ستووووب.. وقف فوزا كل حاجة بتعملها..

أيوه دلوقت.. عاوز كل تركيزك..

معايا؟

تمام..

اختار ياللا أهم علاقة في حياتك.. أهم علاقة..

علاقتك مع مراتك؟ علاقتك مع جوزك؟ علاقتك مع أبوك أو

أمك؟ علاقتك مع أولادك؟ علاقتك مع صاحبك؟ علاقتك مع

حبيبتك؟ رئيسك في الشغل؟ زميلك في الجامعة؟ اختار ياللا..

اخترت؟

كويس جدا..

جاوب بقى على السؤال التالي:

في العلاقة دي.. إنت بتلعب دور مين؟

دور الضحية؟ واللادور الجاني؟ واللادور المنقذ؟

بتلعب دور الشخص اللي بيضخى بنفسه في سبيل الطرف

التاني، ويعمل كل حاجة يقدر أو ما يقدرش عليها علشان

يسعده ويرضيه من غير أي مقابل ولو كلمة حلوة أو حتى

نظرة شكر.. الشخص اللي بيقدم الطرف التاني على نفسه

في كل حاجة طول الوقت.. الشخص اللي بيدي باستمرار

ومش مستني ياخد.. الشخص اللي بيدوب كل ليلة وكل يوم

علشان غيره يتهنى ويرتاح وينام قريير العين؟

ده حضرتك اسمه دور الضحية..

واللا بتلعب دور الشخص اللي بيدي أوامر كثير، ومتوقع من طرف العلاقة الآخر إنه يكون مطيع ويسمع الكلام وما يقولش لأ؛ الشخص اللي شايف إنه من حقه يعمل أي حاجة في أي وقت بغض النظر عن تأثير ده على غيره.. الشخص اللي بيستنى من الآخرين العطاء والبذل والسماح بدون حدود وبدون ردود.. الشخص اللي مش بيرضى بسهولة.. الشخص اللي غضبه صعب وقاسي، واللي محتاج اعتذار ورا اعتذار علشان يرضى.. وإثبات ورا إثبات علشان يصدق..

ده يا فندم اسمه دور الجاني (اللي غالبا مش هاتشوف نفسك فيه.. على الأقل دلوقت.. لكن ما تستعجلش)..

واللا بتلعب دور الشخص اللطيف الطيب الجين اللي بييساعد الآخرين بكل سخاء؛ يقدم لهم الحلول.. ويجاوبهم على الأسئلة.. ياخذ بإيديهم.. ويرميلهم أطواق النجاة.. الشخص المحبوب.. المرغوب.. المنتظر.. المخلص.. اللي بيسمع لكل.. ويفهم الجميع.. ويحول دون وقوع الأذى.. يطبب على ده، ويمسح دموع ده، ويربت على كتف ده.. الشخص الهادي العاقل الرزين.. الشخص الناصح.. القريب.. الحكيم..

وده بقى يا سيدي اسمه دور المنقذ..

عرفت تحدد دورك في العلاقة اللي اخترتها؟

طيب عرفت تحدد أدوارك في باقي علاقات حياتك؟

لسه؟

طيب..

خد عندك..

الأب القاسي العنيف اللي بيخطط وينظر عمال على بطال..
اللي مش بيرضى.. اللي ترتجف أوصال أولاده وتهتز أركان بيته
ويتطاير الشرر من عيونه في ساعات غضبه.. اللي كلمته مش
بتنزل الأرض.. اللي بيزعم إنه يعرف مصلحة ولاده أكثر من
نفسهم.. واللي بيدي لنفسه الحق في تقرير مصيرهم بناء على
رؤيته الشخصية المتفردة.. ده بيلعب دور الجاني..

وأولاده اللي مش بايديهم حيلته، واللي مضطرين يسمعوا
كلامه ويسايروه ويقدموا ليه قرايين الولاء والطاعة، ولو على
حساب نفسهم ومستقبلهم وحياتهم.. دول بيلعبوا دور الضحية..
والأم اللي بتحاول طول الوقت تهدي الأمور.. وتحل المشاكل..
وتحمي الأولاد من أذى الأب.. وتحمي الأب من تمرد الأولاد..
علشان جو البيت يستقر.. وحالة البيت تتحسن.. دي بتلعب
دور المنقذ..

الزوج اللي بيهين زوجته بالليل، ويجرحها بالنهار.. ويقلل
من شأنها مع كل كلمة وكل نظرة وكل تصرف.. اللي
بيشتمها بأي شكل.. أو يمد إيدته عليها بأي درجة.. أو يمنعها
من ممارسة حياتها الطبيعية وحقوقها الإنسانية بأي حجة
وتحت أي مسمى.. ده بيلعب دور الجاني..

والزوجة اللي بتستحمل ده، وتطنش علشان تعيش، وتيجي
على نفسها علشان ما تتهدلش وتتشردهي وأولادها لو
اتطلقت.. دي بتلعب دور الضحية..

وزميلها في الشغل، أو جوز صاحبته، اللي بيهتم بيها، ويسمعها، ويديها الوقت والاهتمام والحنان.. وأوهام الحب.. ويعيشها في عالم جميل من الرومانسية والخيال والـ... والـ... ده يلعب دور المنقذ..

الخطيب اللي بيوعد خطيبته إنه هايخلصها من ظلم أبوها وغلاسته وتسلط أمها وافتراما، وهايخرجها من بيتها اللي مليون مشاكل وأذى وتعب علشان تسكن في بيته اللي مليون ورد وفل وياسمين.. ده برضه يلعب دور المنقذ، وهي بتلعب دور الضحية..

والحبيبة اللي بتتشعلق في حبيبها، وتديله من غير حدود، وتصورله إنها من غيره ما تساويش حاجة، وانها هاتموت لو بعد عنها، وانه هو المصدر الوحيد والفريد للأمان والحب والاهتمام في هذا العالم القاسي المتوحش.. دي بتلعب دور الضحية، وتخليه هو يلعب دور المنقذ، وبعد شوية الجاني.. أه بعد شوية هايلاعب دور الجاني.. أو بمعنى أصح.. هي هاتطلع منه دور الجاني.. وتخليه يلعبه..

كل واحد فينا جواه سيناريو راسمه لحياته، بناء على اللي وصله أثناء التربية واللي اتعرض له في سنين عمره الأولى وبعض الاستعداد الوراثي وبعض العوامل الأخرى.. سيناريو يعني أدوار وأشخاص وأحداث.. وبيكون ليه في السيناريو ده دور محدد.. إما دور الضحية، أو دور الجاني، أو دور المنقذ..

ييسموا ده ساعات مثلث الدراما الحياتية، وكل واحد بيدور في رحلة حياته وعلاقاته على أشخاص تنطبق عليهم مواصفات باقي الأدوار.. يعني لو كان الدور اللي مختاره لنفسه دور الضحية، فبيدور (غالبا بشكل غير واعي) على حد يجيد لعب دور الجاني.. ولو ما لاقهوش يشوف حد عنده الاستعداد الداخلي إنه يمارسه، ويبدأ بكل بساطة وبراعة يطلع الدور ده منه، ويدربه زي المخرج ما بيدرب الممثلين على الأداء.. لغاية ما يتقنه، ويتقمصه، ويلعبه، ويمارسه، ويصدقه، ويتحول ليه، ويكونه..

أيوه.. يكونه..

تصور مثلا البنت اللي اتعرضت لشكل من أشكال العنف أو القسوة في المعاملة أو الاعتداء الجسدي أو اللفظي عليها وهي صغيرة لما تيجي تختار حد في علاقة عاطفية أو زواجية تختار مين؟ معظم الدراسات اللي اتعملت على البنات دي وجدت إنهم (في حالة عدم تغيرهم أو علاجهم نفسياً) بيختاروا شريك حياة عنيف وقاسي ومستغل ومتفنن في أساليب العدوان اللفظي والجسدي والعاطفي.. وإنه لو ما كانش كده فعلا.. فهي بتستفز فيه بكل شكل ويكل طريقة الصفات دي.. وتطلع منه أسوأ ما عنده..

الأدهى من كده.. إنها لو انفصلت عن الشخص ده.. وقررت ترتبط بشخص تاني.. غالبا هاتختار شخص تاني بنفس المواصفات..

ده مثل واضح جداً لسيناريو نفسي داخلي عميق بتصر فيه البنت دي إنها تلعب دور الضحية، ويتختار شخص يجيد لعب دور الجاني.. وتكرر هذا الاختيار وتصر عليه بشكل يبدو إنه غير مفهوم.. لكنه في الحقيقة هايوصل ليها رسالت نفسية مهمة جداً.. ويثبتها عندها: هي إنها مظلومة باستمرار.. ومكسورة طول الوقت، وطيبته، وغلبانته، وما فيش بإيديها أي حيلة في عالم من الأشرار والسفاحين والمستغلين.. يعني باختصار هي (غير مسئولته).. ويتنجح في إثبات ده.. مرة ورا مرة ورا مرة..

مثل ثاني..

الطفل اللي كان بيتعامل معاملة سيئة من أهله.. معاملة كلها قسوة وعقاب وأذى وإهمال وتجاهل لحقوقه الإنسانية البسيطة.. الطفل ده لما يكبر ويتجوز ويخلف بيكون قدامه سيناريو من ثلاثة:

السيناريو الأول هو إنه ممكن يكرر نفس اللي اتعمل معاه وهو صغير مع زوجته وأولاده.. يعني يكون أب شديد لا يعرف الرحمة وزوج قاسي لا يعرف الحب، وبكده يلعب دور (الجاني)، وطبعا علشان يلعب الدور ده هايختار واحدة حابته تعيش في دور الضحية، وحابته تكمل فيه..

السيناريو الثاني هو إنه يكمل في نفس الدور اللي اتربي عليه (دور الضحية) واللي هو في الحقيقة كان مضطر وقتها له وما كانش فيه بدايل، لكن المرة دي هو مختار مش مضطر.. فيختار زوجة متسلطة مفترية تطلع البلا الأزرق على جتته..

أما السيناريو الثالث فهو إنه يعيش طول الوقت في دور المنقذ والمخلص لأولاده من قسوة أمهم وشرها (طيب اتجوزتها ليه من الأول وهي كده؟!)..

علشان تلعب دور الضحية.. بتدور على حد تنطبق عليه مواصفات دور الجاني.. وعلشان تلعب دور المنقذ.. بتدور على اللي ينفع يلعب دور الضحية.. وعلشان تلعب دور الجاني.. بتختار اللي يسمحك تخليه ضحية..

يعني مديرك في الشغل اللي مُستبيح كرامتك، وبيدوس عليك، ويستغلك.. انت اللي سمحتله بده وخليته يلعب دور الجاني.. وانت عشت دور الضحية.. وهو شاف ده فيك، وعرف يستخدمه، بكامل وعيك وإرادتك.. وانتوا الاتنين مسئولين..

وحبيبتك اللي انت بتعبدتها وبتعشقها ودايب فيها حتى الموت، وهي مطمئناك ومش بتسأل فيك وسايقتك عليك الدلال والدلع للآخر.. هي في الحقيقة لمحت فيك استعدادك لدور الضحية.. ومارست معاك الدور المكمل بكل مهارة واقتدار.. واستمتع يا سيدي بسهر الليالي وسماع أغاني الحزن والهجر والفراق.. بس ما تشتكيش..

هاتقولي وهو يعنى بيبان على الواحد أو الواحدة من الأول هو أوهي ناوية تلعب دور إيه في سيناريو حياتها وعلاقاتها؟ كل ده بيظهر بعدين!!
أقولك لأ..

فيه عند كل واحد فينا كده زي قرون استشعار..
بتحس وتلقت وتفهم اللي قدامه، من تصرف بسيط، من حوار
موجز، من طريقة كلامه، من حتى طريقة لبسه أو مشيته،
و بمجرد ما تستنتج إن هو ده اللي يليق عليه الدور، أو هو ده
اللي عنده استعداد يلعبه ويكمل السيناريو اللي هایشبتي
الرسالة النفسية اللي جوايا.. اشبط فيه واتعلق بيه وأقول هو
ده.. هو ده مافيش غيره.. يا ده يا بلاش..

فيه حاجة كمان.. انت ممكن تكون في علاقة ما بتلعب
دور (الجاني)، وفي علاقة تانية بتلعب دور (الضحية)، وفي
علاقة ثالثة بتلعب دور (المنقذ).. مش بس كده، ده ممكن في
العلاقة الواحدة تتبادل الأدوار.. شوية تبقى (جاني) وشوية
تبقى (ضحية) وشوية تبقى (منقذ)..

يعني اللي بتموت في حبيبها وبتوصله طول الوقت إنه فارس
الأحلام اللي ها يخلصها من شرور العالم وظلم التاريخ، وأنه الملاذ
الأول والأخير ليها في حياتها، وإن كل أحلامها وأمانها في
الدنيا إنها تعيش معاه طول الليل والنهار بين أربع حيطان وبس..
في الحقيقة هي بتعيش دور الضحية، وبتطلع منه دور المنقذ،
وهو طبعا بيحب الدور، ويلعبه ببراعة، علشان يوصل لنفسه
هو الثاني إنه طيب، وجدع، وشجاع، ومخلص، ويدي لنفسه
الحق في إنه يمتلكها.. أيوم.. المنقذ بيدي لنفسه الحق بعد
شوية إنه يمتلك الضحية، ويتحول لـ(جاني).. علشان كده لما
يجمعهم بيت واحد.. وتدور الأيام دورتها، هاتشتكي منه مر
الشكوى إنه مُسيطر عليها، وبيخنقها، وبيمنعها من الخروج
ومش موافق إنها تشتغل.. وبيتأمر عليها في اللبس والحركة
والمكياج والكلام مع الأصحاب والجيران.. وصباح الفل..

مش بس كده.. ده الأصعب من كل ده بقي.. إنك غالبا بتلعب دور وبتكون متصور إنك بتلعب دور تاني تماما.. يعني الأم اللي قررت تفني نفسها علشان أولادها، وتموت بالحيا علشان هما يعيشوا، وتديهم كل الوقت وكل الجهد وكل المشاعر.. على حساب نفسها وحقوقها وحياتها.. دي بتعيش دور الضحية.. ومتصورة إنها بتعيش دور المنقذ.. لكن هي في الحقيقة بتجني على نفسها وعلى أولادها.. وساعات كثير جداً بتزرع فيهم الإحساس بالذنب لأنها ضيعت عمرها علشانهم، وحرمت نفسها من أجلهم، وضحت بحياتها في سبيلهم..

ويا فرحتي بطالب ثانوية عامة اللي جاب مجموع عالي ودخل كلية الطب علشان يفرح أبوه أو يسعد أمه، ويدفع تمن تعيهم وتضحياتهم، ويحقق أحلامهم، ويلون أمانيتهم.. ومع ألف سلامة لحياته وأحلامه ومستقبله الحقيقي.. وأهلا بيه مريضاً مثالياً للاكتئاب والقلق والفصام واضطرابات الشخصية..

وصاحبك أو حبيبك أو شريك حياتك اللي بياخذ قراراتك بالنيابة عنك، ويعرض عليك خدماته عمال على بطل، ويحقق لك كل طلباتك من قبل حتى ما تطلبها، هو فرحان جداً بدور المنقذ، وانت مُستمتع بالدور السليبي اللي مافيهوش أى مسئولية، لكنك هاتكتشف بعد شوية إنك مُعتمد عليه اعتماد مُطلق، وماشي في ضله، وما تقدرش تتنفس في عدم وجوده.. وانه في الحقيقة جنى عليك وامتلحك وعمل بينك وبينه حبل سري انقطاعه يعني الموت..

على فكرة..

إوعى تفتكر إن فيه دور فيهم أحسن من الثاني.. أو إن دور منهم مرغوب ومفضل عن غيره.. بالعكس.. كل دور جواه كمية هائلة من المصائب والبلاوي والأذى والضرر.. للنفس وللآخرين.. اللي بيلعب دور الضحية بيلعبه علشان يثبت لنفسه ويحس قدامها أنه دايماً مظلوم ومغلوب وعديم الحيلة.. فيهرب من المسؤولية والإحساس بالذنب، ويصدر هذا الإحساس بالذنب لغيره.. واللي بيلعب دور المنقذ هو في الحقيقة بينصب شباكه حواليك علشان يمتلكك بعد شوية ويستبيح أرضك.. واللي بيلعب دور الجاني ده حد بينتقم من نفسه ومن الحياة ومن ناس آخرين في شخصك ومن خلالك..

إيه الأخبار دلوقت؟

عرفت إنت بتلعب دور مين في علاقات حياتك؟

اكتشفت السيناريو اللي انت راسمه لنفسك وبتكره

باستمرار كل يوم؟

فتحت عينك وشوفت؟

طيب..

نعمل إيه بقى؟

أولاً.. إوعى تندم.. بالعكس.. إحمد ربنا إنك شوفت وعرفت.. أي

رؤية جديدة ممكن يكون معاها شوية ألم.. وساعات ألم

كبير وصعب.. معلش..

١٢

نصف حياة..

اسأل نفسك السؤال ده: هو أنا بعمل علاقة مع اللي قدامي كله
واللا مع جزء منه فقط؟ يعني بأعمل علاقة مع الجزء الطيب فيه
بس.. بقبله.. وبجبهه.. وباقي أجزاء نفسه وتفاصيل شخصيته
مش قابلها؟ أو بعمل علاقة مع الجزء السيئ بس؟ الجزء الوحش..
الجزء المظلم.. ومغمض عيني عن باقي الأجزاء؟ واللا شايفه
كله على بعضه.. زي ما هو.. وقابله كما هو.. بكل ما فيه؟
هو انت بتعمل علاقة مع قد إيه من اللي معاك؟ بتعمل علاقة
مع كام في الميتة منه؟ قابل كل أجزائه وتفاصيله واللا
مقسمه زي التورتة.. تاخذ منه حتة.. وتسيب الباقي؟

بتعمل علاقة مع قد إيه من حبيبك؟ مع قد إيه من صاحبك؟
مع أي حتة من نفسك؟ مع كام في الميتة من مراتك؟ مع أي جزء
من دينك؟

بشكل عام فيه نوعين من العلاقات.. سواء العلاقات مع
الأشخاص، أو الأشياء، أو أي حاجة..

النوع الأول.. هو إنك تعمل علاقة مع جزء واحد (أو بالكثير
عدة أجزاء) من الآخر، وما لكش دعوة بالأجزاء الأخرى.. ودي
اسمها (علاقة جزئية)..

والنوع الثاني.. هو إن علاقتك بالآخر تكون مع كل أجزائه
وتفاصيله.. تكون مع مجموعه كله على بعضه حتة
واحدة.. ودي اسمها (علاقة كلية)..

طبعاً (الأخر) ده مُمكن يكون أي حد أو أي حاجة..

قوللي إزاي..

أقولك إزاي..

لما تكون شايف اللي بتحبها على إنها ملاك نازل من السما.. وما فيهاش غلطة.. وإنها أميرة الأميرات، وساحرة الساحرات، وأسطورة الأساطير.. ومش شايف (أو مش عاوز تشوف) إنها بتغلط، وبتقصر، وإن جمالها نسبي، وإن كلامها مش كله عسل وسكر، وإنه ساعات بيبقى علقم ومر.. وحركاتها وتصرفاتها مش كلها سحر وإبهار.. وإنها ساعات تكون مندفعته، وساعات جبانته، وساعات محتارة.. بيبقى انت كده عامل معاها علاقة جزئية.. مع الجزء ده منها بس.. وسايب الباقي.. أو ساعات.. مطنشه..

والعكس بالعكس.. يعني لما تكون مش شايف من حد في دايرة علاقاتك، غير إنه أناني وطماع وقاسي ومهمل و... ومش عاوز تشوف ولا تقبل إنه ممكن يكون ضعيف ومتلخبط ومليان غلب ووجع واحتياج.. بيبقى انت برضه عامل معاها علاقة جزئية..

لما تحب وتقبل مراتك وهي لابسة شيك وحاطة ميك أب ويرفان ودلع وحركات، وما تقبلهاش ولا تبقى طايق تبص في وشها لما تكون مسحولته في شغل البيت، وتحت عينيها اسود من

التعب والسهر، وهدومها مكرمشة ومتبهدلثة من خدمتك انت وعيالك.. يبقى انت عامل معاها علاقة جزئية.. ناقصة كثير..

لما تختزل مريضك (لو انت دكتور) الى شوية اعراض، وتعلق عليه يافطمة مرضه، وما تشوفش منه غير نواقل كيميائية ومستقبلات عصبية، وتنسى او تتناسى آدميته ورحلته الإنسانية اللي وصلته لغاية عندك.. وتتعامل معاه على إنه (حالة) مش على إنه بني آدم، يبقى علاقتك بمريضك علاقة جزئية..

لما ما تشوفش من دينك غير إطالة اللحية وتقصير الثوب وضرب الزوجة، وتسبب المعاملات ومكارم الأخلاق وجوهر الدين العميق.. يبقى حتى علاقتك بدينك وربك علاقة جزئية ناقصة مختزلة..

لما كل رؤيتك للغرب تكون على إنه انحلال وفسوق وجنس وفساد.. وما تحطش ده جنب التقدم العلمي والثقافي والتكنولوجيا الرهيب.. يبقى انت بتبص بعين واحدة.. ومغمض عينك الثانية.. ونفس الكلام طبعاً لو ما شوفتش من الغرب غير سبقه لينا في معظم مجالات الحياة، وتناسيت التفكك الأسري والمعاناة الفردية والاجتماعية من ده على كل المستويات.. في الحالتين علاقتك بيه علاقة جزئية غير كاملة..

الكلام ده ينطبق على أي علاقة.. مع أي حد.. أو أي حاجة.. وكل واحد وشطارته.. وكل واحد وقدرته على تحمل المتناقضات وقبول الاختلاف..

نجيب من الأول بقى.. يعني من زمان.. من زمان جداً..

فيه نمطين/طريقتين للعلاقات الإنسانية نتعلمهم في حياتنا من خلال نمونا النفسي بداية من أشهر عمرنا الأولى.. طريقة سهلة.. وطريقة صعبة شوية..

الطفل في أول كام شهر في حياته بيحاول يفهم الدنيا من حواليه، ويفهم الناس، ويحس بيهم، بيحاول يحط أبجديات علاقته بالحياة.. ويستوعب الخبرات والمستحدثات اليومية اللي بتمر بيه.. واللي بتكون جديدة عليه تماماً، وعلشان يعمل ده.. فهو محتاج طريقة بسيطة وسهلة جداً للفهم والاستيعاب.. لغاية ما عقله ينضج ويبدأ يستوعب ويفهم بشكل أكبر.. الطريقة البسيطة دي هي إنه يعمل مع الأشخاص والأشياء والخبرات من حواليه علاقة جزئية أولية بدائية.. يشوف منهم جزء واحد فقط، وما لهوش دعوة بالباقي.. يعني ده كويس، وده وحش.. ده صح وده غلط.. ده يمين وده شمال.. بس.. وخلص.. لدرجة إنه بيستقبل أمه نفسها في الوقت ده على إنها كائنين مختلفين غير بعض.. واحد كويس، وواحد وحش.. أم كويسة.. وأم وحشة.. وقت ما ترضعه وتحضنه لغاية ما ينام تبقى هي دي الأم الكويسة الموجودة المتاحة اللي بتديله الشبع والحضن والدفا.. ووقت ما تغيب أو تبعد عنه شوية تبقى دي الأم الثانية الوحشة البعيدة اللي مش بتحس بجوعه واحتياجه وبتهمله.. الطريقة دي بتساعده كثير جداً في استيعاب الأشخاص وفهم

الخبرات والاندماج في العالم خلال أول ست شهور من عمره..
خلال كام؟! أول ست شهور من عمره.. أول ست شهور من عمره..
بعد كده.. يبدأ عقل الطفل يكبر.. ووعيه يتسع.. ونمط
علاقاته يتغير..

يعني يبدأ يكتشف إن كثير جداً من علاقاته دي كانت
ناقصة.. وإن الشخص الواحد.. أو الحاجة الواحدة.. ممكن
يكون فيها أجزاء كثير أوي غير اللي هو كان شايفها، وإن
بعض الأجزاء دي متناقض.. وبعضها عكس بعض.. وكثير
منها مختلف..

يكتشف إن نفس الأم الكويستة فيها حاجات وحشة.. ونفس
الأم الوحشة فيها حاجات كويستة.. يكتشف إن نفس الأم
اللي بتقرب وبتهتم وتدي الشبع والحض والدفا هي الأم اللي
ساعات بتكون تعبانة وبعيدة ومش قادرة تدي.. يتلخبط..
ويحتر شوية.. ويتألم شويتين.. وبعدين يقبل ده، ويتجاوزه..
ويكبر بيه.. وينضج من خلاله.. ويتحول نمط علاقاته مع
الناس والحياة والغير إلى (علاقات كليّة).. يشوف فيها اللي
قدامه كله على بعضه.. يقبل الاختلاف.. يستوعب التناقض..
يستحمل اللخطة والحيرة، في نفسه وفي الآخرين.. وده
بيحصل في الست شهور الثانية من عمر الطفل.. ده طبعا بفرض
إن نموه الصحي والنفسي ماشي سليم بدون مشاكل ولا عقْد..

الأول كثير بيحكم.. وكثير بيقدس.. ومش بيشف غير اللي
في دماغه.. ومش بيسمع غير اللي هو عاوز يسمعه.. ده لو شاف
ولو سمع من أصله..

والثاني بيشف.. ويسمع.. ويسمح.. وما يتخضش.. ويستحمل..
ويقبل..

الأول مش بيدي فرص.. لا لنفسه ولا لا لغيره.. هي كده.. وما
فيش غير كده..

الثاني كل يوم بالنسبة له فرصة جديدة.. وكل حد بالنسبة
له اختبار جديد لجوهره وحقيقته..

الأول الدين بالنسبة له هو: «هذا ما وجدنا عليه أبائنا»..
والثاني الدين بالنسبة له: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة»..

الأول مش بيقبل الغلط.. ولا الضعف.. ولا الفشل..
والثاني بيقبل غلطه وضعفه وفشله.. وغلط وضعف وفشل
الآخرين..

الأول رينا عنده هو "غافر الذنب" بس.. أو "شديد العقاب" بس..
الثاني رينا عنده: "غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب"..
قبل ما أخلص..

زي ما الأفراد ليهم تاريخ من النمو النفسي.. وأشكال من التثبيت
والنكوص عند درجات مختلفة من سلم النضج الإنساني..
المجموعات كدم.. والمجتمعات كدم.. والشعوب والأمم كدم..
في علاقتهم بنفسهم، وبغيرهم.. وبربنا..

عاوز تعرف بقى انت فين؟ عاوز تعرف انت مين؟

اسأل نفسك..

انت قد إيه شايف اللي قدامك وسامحله يكون نفسه؟
قد إيه بتقبل الاختلاف ووجود المتناقضات والحيرة واللخبطة
جواك وجوه غيرك؟

قد إيه بتحكم على حد.. أو بتقدس حد.. أو بتحكم على
نفسك أو تقدسها؟

قد إيه قابل خطأك وضعفك وفشلك.. وخطأ الآخرين وضعفهم
وفشلهم؟

قد إيه مستعد تبدأ من جديد.. كل يوم.. وكل ساعة..
وكل لحظة؟

الإجابة عن الأسئلة دي هاتقولك انت فين.. وانت مين..

١٣

أقوى سلاح في تاريخ البشرية

عارف اللي بيحصل جواك لما تعمل حاجة غلط؟
الإحساس اللي بييجيلك لما تعمل حاجة عيب؟
الشعور الصعب اللي بيعذبك لما تعمل حاجة حرام؟
ده اللي هانتكلم عنه دلوقت..

كل واحد فينا جواه كائن ضخم.. عملاق مُخيف.. وحش
كاسر.. بيطلع لما تعمل حاجة غلط، أو عيب، أو حرام.. الكائن
ده ساعات بيسموه الأنا الأعلى.. ساعات بيسموه الضمير.. ساعات
بيسموه النفس اللوامة..

الجزء ده من تركيبنا النفسي، بيتكوّن فينا من سن ثلاث إلى
خمس سنين تقريبا.. وبيكون أحد أهم مصادره طريقة تربية
الأب والأم لينا، وقد إيه فيها حنية أو قسوة.. وعادات وتقاليد
وموروثات المجتمع اللي بنتولد فيه، وقد إيه فيها تسامح وقبول
أو ظلم ورفض.. وطبعا مُعتقدات وتعاليم ديننا (كما وصلنا)،
وقد إيه اللي وصلهولنا شاف فيه عفو وغفران أو عقاب وانتقام..
مُشكلة الكائن ده جؤانا هي أنه كائن مُسلح.. وسلاحه
قوي جداً.. والسلاح ده بيديله سلطة، وقوة، وسيادة.. ويخليه
يتحكم فيك وفي أفكارك ومشاعرك وكمان تصرفاتك.. زي
ما يجب.. وقت ما يجب..
السلاح ده اسمه:

الشعور بالذنب..

حجم الكائن ده جواك، ودرجة قوته، وعلاقتك الداخلية بيه
هي اللي بتحدد بشكل كبير. علاقتك بنفسك..

بمعنى إنه لو كانت طريقة تربيتك فيها قسوة شديدة، وعقاب
بمناسبة وبدون مناسبة، أو لو أنت عايش في مجتمع مليان قهر
وظلم ورفض للاختلاف، أو لو اللي وصلك من دينك هو فقط
التخويف والتهويل والعذاب والوعيد.. وقتها هايكون حجم
الجزء ده جواك كبير جداً، وتسليحه قوي جداً.. وهايحسسك
بالذنب مع كل حركة وكل فعل وكل عاطفة، ويقولك
ده عيب وده غلط وده حرام.. على كل حاجة.. في كل وقت..
هايكون ضميرك قاسي جداً عليك وعلى الآخرين.. ونفسك
مش هاتبطل تلومك ليل أو نهار..

أما لو كان اللي وصلك من التربية سعة الصدر والقبول غير
المشروط، ووصلك من المجتمع العدل والمساواة وقبول الآخر،
ووصلك من الدين السماح والعفو والمغفرة والرحمة.. فوقتها
هايكون حجم الجزء ده جواك متوسط ومعقول.. وعلاقته
بيك فيها لطف وهدوء وتفاهم.. ضميرك هايكون حي بس
مش قاسي.. هاتدي مساحات للخطأ والصواب.. وفرص للعفو
والسماح.. لنفسك قبل أي حد تاني..

وبالطبع لو كانت التربية مليانة إهمال واستهتار وعدم اهتمام..
والمجتمع مليان كسل ولا مبالاة وفهلوة.. واللي وصل من الدين
كله تشويه وادعاء وافتراء.. فانسى كلمة (ضمير) دي من
أصله..

طبغا دي مش قاعدة مطلقة.. علشان ممكن يوصل من التربية
سعة صدر وقبول بس في مجتمع مليان قهر وظلم.. أو يوصل من
الدين عفو وسماح في حين إن اللي وصل من البيت قسوة ورفض..

إلى جانب إنه فيه عوامل تانية كتير أوي بتتحكم في ده.. زي الاستعداد الوراثي والتعبير الجيني وغيرها..

المهم.. جواك مؤسستة قانونية وأخلاقية ودينية اسمها (الضمير).. على رأسها كائن ضخم اسمه (الأنا الأعلى) بيحاول يقوم بوظيفة مهمة اسمها (النفس اللوامة).. وبيستخدم في ده سلاح اسمه (الشعور بالذنب)..

وأعتقد إنه ما فيش كلمتة تم تشويه معناها، ولا شعور حصل فيه مغالاة.. ولا سلاح أسير استخدامة زي (الشعور بالذنب).. عند علماء الدين.. الشعور بالذنب ندم وتوبة.. عند الآباء والأمهات.. الشعور بالذنب أدب وطاعة.. وعند كتير مننا.. الشعور بالذنب سجن وعذاب.. مش بس كده..

ده الشعور بالذنب.. هو أقوى سلاح في تاريخ البشرية.. يعني أقوى سلاح ممكن حد يستخدمه ضدك.. هو أنه يخليك تحس بالذنب تجاهه..

وأقوى سلاح ممكن تستخدمه ضد نفسك.. هو إنك تحسها بالذنب بمناسبة وبدون مناسبة..

وأقوى سلاح بيستخدمه الآباء والأمهات علشان يسجنوا أطفالهم في سجون حصينة من الطاعة العمياء والصوت الواطي والعين المكسورة.. هو أنهم يحسوسهم بالذنب.. حتى على مجرد وجودهم في هذه الحياة..

وكمان أقوى سلاح يستخدمه البعض باسم الدين لامتلاك
قلوب الناس وشل تفكيرهم وتعمية عيونهم وصم آذانهم هو أنهم
يزرعوا جواهر الشعور الدائم والساحق بالذنب تجاه أي فكرة
وأي عاطفة وأي فعل..

طيب نحل العضلة دي إزاي بقى.. إزاي أرحم نفسي وأحميها من
الشعور بالذنب وفي نفس الوقت يكون ضميري صاحي؟ إزاي
أغلط من غير ما أعذب نفسي أو أخلى حد يعذبها؟ إزاي أفضل
من غير ما أجلد نفسي أو أسمح لحد إنه يجلدنا..
شوف يا سيدي..

مهم نعرف الأول إن الشعور بالذنب ده نوعين.. نوع صحي ومفيد
ومطلوب.. ونوع مرضى ومؤذي ومدمر.. وبينهم فيه أنواع كثير
تانية..

الشعور الصحي بالذنب هو إنك تغلط، وتكتشف إنك غلطت،
فتراجع نفسك، وتتعلم من غلطك.. وما تكرر هوش.. وتعتذر..
أو تتوب..

أما الشعور المرضى بالذنب فهو إنك تغلط، وتنصب لنفسك بعدها
محكمة قاسية غير عادلة، تحس فيها إن الصح غلط، وإن
الغلط مصيبة، وإن المصيبة هي نهاية العالم.. فتعلق لنفسك
حبل المشنقة كل يوم.. وتجلبها وتعذبها كل ساعة..

الأول بتمارس فيه آدميتك بإنك تستخدم الحق اللي ربنا منحه
ليك في الخطأ والضعف والفسل.. فتتعلم من خطأك، وتقبل
ضعفك وتحاول تاني بعد فشلك..

التاني بتجرد فيه نفسك من آدميتك وما تسمحش ليها بممارستة
حقها الرياني اللي علشانه اسمك (إنسان)..

الأول فيه سماح وعفو وبيدايتة جديدة في كل مرة.. وفرصة
جديدة مع كل خطأ..

التاني فيه عقاب داخلي قاسي وعنيف مع كل ضعف.. ويأس
وقنوط وسواد مع كل فشل..

الأول.. مش هاتكرر فيه نفس الغلطة تاني (بقصد).. لكن
هاتغلط غلطات غيرها.. وتتعلم منها برضه..

التاني.. هاتكرر فيه نفس الغلطة كل يوم.. بشكل قهري
سقيم لا ينتهي..

الأول هو النفس اللوامة (من غير قسوة)، والضمير الصاحي (من
غير مغالاة)..

التاني هو النفس القاسية الغاشمة، والضمير المتكلف المغالي
في العقاب..

الأول فيه حركة وتغير ونمو.. ومسئولية.. وحياة..

التاني فيه جمود وثبات ونكوص.. ويأس.. وموت..

الأول هو الألم الإنساني الواعي الشريف..

والتاني هو المعاناة المريضة العمياء الساحقة..

طيب.. نعمل إيه؟

غلطت؟ سامح نفسك.. واتعلم من غلطك.. وابدأ من جديد.. هو
إحنا بنتعلم من غير ما نغلط؟

ضعفت؟ اقبل ضعفك.. ما هو انت بشر.. والضعف جزء من بشريتك..

فشلت؟ وماله.. هو النجاح ليه طعم من غير الفشل؟ اقبل فشلك.. وحاول تاني..

ما ينفعش رسولنا (ص) يقولنا: ”كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون“ واحنا ما نقبلش أخطاءنا ونقف ونوقف الدنيا والحياة عندها..

ما ينفعش يقولنا: ”لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم“ واحنا مش بنحترم ضعفنا ومش بنقبل فشلنا..

ما ينفعش ربنا يعلمنا نكلمه ونقوله: ”ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا“ واحنا ننصب لنفسنا المشانق كل يوم..

من النهاردة.. من دلوقت.. من اللحظة دي..

ما تسمحش لأي حد إنه ياخذ منك حق الخطأ.. ويديلك بداله الشعور بالذنب..

ما تسلمش مفاتيح قبورك لنفسك لأي حد.. وبعدين تستنى منه القبول والرضا..

ما تستناش صك الغفران من أي بشر.. مهما كان..

اعرف إن الشعور بالذنب بيكون في أوقات كثير جداً عكس
الشعور بالمسئولية..

ما تحملش نفسك فوق طاقتها.. وما تشيلش شيلتة حد..

ما تشيلش شيلتة حد..

١٤

عن الاحتياج للحضن..

الاحتياج للحضن هو واحد من أهم الاحتياجات الإنسانية وأقدمها أصولاً وأقواها أثراً على الإطلاق.. والاحتياج للحضن زيه زي كل احتياجاتنا الإنسانية.. بنتولد بيه ونعيش بيه وما نقدرش نكمل حياتنا بشكل صحي وسليم من غيره.. ونقصه أو عدم إشباعه ممكن يؤدي لكثير جداً من الأمراض أو الأعراض المرضية.. مشكلت الاحتياج للحضن إنه احتياج مزدوج.. يعني هو مش بس احتياج جسدي.. لا.. هو كمان احتياج نفسي.. وفي الحقيقة ده الأهم.. وده الأخطر..

أول علاقتك بالحضن كانت في اللحظة الأولى لاحتضان الأم لك وانت عمرك ساعات معدودة.. والحضن ده بالذات ليه وظائف مهمة جداً.. أبسطها إنه كان بيحسك بوجودك.. بيحسك إنك موجود.. وأحدث الأبحاث العلمية وجدت إن الحضن الأول ده مهم يكون فيه تلامس مباشر بين أكبر مساحة من جلد الأم وأكبر مساحة من جلد الطفل (اللي يستحسن يكون عريان تماماً).. علشان فرق درجة حرارة جلد الأم عن درجة حرارة جلد الطفل بيكون أول حاجة تنبهه إنه مختلف.. إنه متفرد.. وبالتالي.. إنه موجود..

طبعا الاحتياج للحضن مش بيوقف عند هنا.. بالعكس دي بس بتكون البداية.. الاحتياج للحضن بيستمر ويدوم ويعيش معنا طول العمر.. زيه زي الاحتياج للأكل والشرب.. وزيه زي الاحتياج للحب والاحتياج للقبول والاحتياج للاهتمام..

في المتوسط..علشان نعيش بالحد الأدنى من الصحة الجسدية والسلامة النفسية.. كل واحد فينا محتاج ٤ أحضان في اليوم.. والأربعة دول لو بقوا ٨ يبقى ده كفييل بدوام واستمرار (وصيانت) صحتنا الجسدية والنفسية.. لكن علشان اكتمال النمو الصحي وتمام النضج النفسي محتاجين ١٢ حضن يوميا.. صباح الفل!

طبعا أنا مش عاوز أقلب الكلام لمحاضرة علمية أكاديمية وأقول إن الحضن بيحفز إفراز هرمونات السعادة.. وأنه بيقوي المناعة ويساعد على ارتخاء العضلات.. ويساعد على توازن الجهاز العصبي وأنه بيخفف التوتر.. لا.. مش كده بس.. أنا عاوز أقول اللي أعمق من كده..

الحضن.. دفا.. دفا جسدي.. ودفا نفسي.. وكأنك بتحط كمادات مية دافية على جراح حياتك.. واصابات يومك.. وكدمات علاقاتك..

الحضن علاقة في حد ذاته.. فيها أخذ وفيها عطاء.. فيها رسائل رايحة جايت.. فيها شوفان وقبول واحترام واحتواء..

الحضن.. وجبة غذائية نفسية متكاملة.. فيها كل أنواع المقويات والفيتامينات والبروتينات (النفسية)..

الحضن.. هو البديل اليومي المتاح لعودتك داخل الرحم مرة أخرى (ودي رغبة موجودة عندنا كلنا).. لما كان الأمان والدفا والاحتواء والشبع موجودين بكل بساطة وبدون عناء ولا مشقة ولا تعب.. وجود دائم لا ينقطع..

الحضن.. يعني أصلاً إنك موجود.. إنك تستاهل تكون موجود..
وانك تستاهل تتحضر.. تستاهل هذه المنحة الربانية بين أيدينا
حد بتحبه..

الحضن أمان.. درع حماية.. ستره واقية من رصاص الألم..
وصقيع الحياة..

الحضن فرحة.. وبهجة.. وطاقة متجددة في أوردة نفسك
وشرايين روحك..
الحضن.. أمل..

الحضن عزاء.. وطبطقة.. وترياق ناجع لهموم الليالي.. وسموم
الأيام..

الحضن قبول.. واهتمام.. وحب.. وسماح.. ورضا..

الحضن لغته.. والحضن له لغته..

الحضن.. شفرة المحيين..

نقول كمان..

الحضن احتياج إنساني لا غنى عنه.. وأول مصدر لإشباع هذا
الاحتياج الإنساني هو الأم (التي حضنها بيدي الدفا والشبع
والاحتواء والأمل).. والأب (التي حضنه بيدي القوة والجدعنة
والحماس والإصرار).. وبعدين الاخوات والأصدقاء والأحبة
والأزواج وغيرهم..

كثير من المرضى النفسيين كل اللي ورا أعراضهم وأمراضهم النفسية العويصة.. احتياج لحضن.. فقط احتياج لحضن.. والاحتياج ده لم يتم إشباعه من الأم والأب أساساً..

بعض اللي بيجيلهم اكتاب.. بعض اللي بيجيلهم توتر وأرق.. وحتى بعض اللي بيحصلهم هلاوس سمعية وبصرية.. بيكون أحد الاحتياجات الأساسية غير المشبعة عندهم.. هو الاحتياج للحضن..

ساعات اللي بتبيع نفسها.. أو بتدخل في علاقات مشوهة ومختزلة.. بتعمل كده، علشان بس تتحضن.. حضن تحس فيه إنها موجودة..

ساعات اللي بيعمل أو بتعمل علاقات مثلية جنسية.. بيكون كل اللي بيدور عليه (على مستوى غير واعى) حضن من رجل يمثل ليه الأب.. أو حضن من أنثى تمثل ليها الأم..

ده كمان ساعات اللي بيدمن.. مش بيدور في مادته المخدرة إلا على اللي مالاهاوش في حضن أبوه وأمه (الشبع والرضا).. بس مالاقاش ده مع بني آدمين.. ولاقاه في مادة بكماء صماء.. من كتر ما هو محتاج..

ما تحرموش نفسكم من الحضن..

ما تحرموش أبناءكم وبناتكم من الحضن..

ما تحرموش أصحابكم وحبائبيكم من الحزن..

ما تحرموش أزواجكم وزوجاتكم من الحزن..

علشان ما تضطروش تدفعوا أو تدفعوا اللي حواليكم التمن..

يا اللا قوموا..

إلى أقرب حزن..

۱۵

ياللا نعمل (أبـ ديت) لبعض

أكبر ظلم ممكن تظلمه لحد هو إنك ما تشوفهوش.. آه
ما تشوفهوش..

بمعنى إنك تشوف فقط الصورة اللي انت راسمهاله في مخك..
واللي ممكن تكون كونتها عنه من موقف قديم.. أو تفاعل
مر عليه الزمن.. من سنة.. سنتين.. عشرة.. أو حتى امبارح..
وأخذت عنه تصور.. ونسجت عنه فكرة.. وثبتتها في دماغك
عنه.. وبطلت تشوفه هو.. وشوفت اللي في دماغك وبس..

يعني اللي قدامك يتشال ويتهد ويتحرك ويتغير - سواء
للأحسن أو للأسوأ - وانت ما زلت شايفه زي ما هو.. يعدى عليه
الوقت.. وتمر عليه الساعات.. والأيام.. والليالي.. والسنين.. وانت
مصر توقف الزمن عند لحظة قديمة.. وموقف كان ليه ظروفه
وتفاصيله.. وبني آدم ممكن يكون غير البني آدم اللي قدامك
دلوقت أصلاً..

علماء مدرسة الجيشتالت في العلاج النفسي بيقولوا إن الواحد
لو باصص لشجرة.. عينيه بتاخذ ليها أول لقطة وتخزنها في
الذاكرة.. وتبطل تستقبل منها أي صورة تانية.. لغاية ما يهب
شوية رياح يحركوا ورقها.. ويهزوا أغصانها.. فعنك تفوق..
وتبدأ تستقبل الصورة والصوت من جديد..

وقامت كل مدرسة الجيشتالت على الاستقبال وقوانينه
وكيفية تجديده.. وإزاي استقبالاتنا المبكرة لمواقف في
الطفولة، وتثبيتها وعدم مراجعتها، وصلت بينا لبعض الأعراض
والأمراض النفسية..

إحنا بنحب الراحة.. مُدرين على الاستسهال.. مش عاوزين نبذل مجهود نشوف بيه أي حاجة جديدة مُمكن تلخبط تصوراتنا القديمة.. أو تهد بنيان هلامي بنيناه على مدار سنين أو حتى أيام.. لأن ده معناه إني أنا كمان أتغير طالما اللي قدامي بيتغير.. وأتحرك زي اللي قدامي ما بيتحرك.. ويبقى عندي استعداد أراجع نفسي في كل تصوراتي وأفكاري ومعتقداتي، وأكتشف إني غلط.. وأصح نفسي.. وأجدد استقبالي، وأجدده تاني.. وتالت.. كل يوم.. ياااااااا.. لا خرينا كده أحسن.. ثابتين ومثبتين الناس والأماكن والأشياء كما هي.. كل حاجة زي ما هي، كما كانت كما استقبلناها أول مرة، الكويس كويس جداً.. والسيئ في منتهى السوء.. والظالم ما زال ظالماً.. والجميل ما زال جميلاً.. والقبيح لم يتغير قبحه.. ونعيش ونعيش اللي حوالينا في قوالب مصمتة.. وتمثيل جامدة.. لا حراك ولا حياة ولا تغير..

أكبر مشكلة في ده إنه ضد الطبيعة.. ضد الكون.. ضد قانون الخلاق.. ضد البشرية نفسها.. الكون بيتغير كل لحظة.. الأرض لا تكف عن الدوران.. مثلها مثل كل الكواكب.. حتى النجوم والمجرات في حركة دائمة، وتغير مستمر.. كل لحظة موقع جديد.. وإحداثيات مُختلفة.. لا تتكرر أبداً.. ده غير الليل والنهار.. وفصول السنة.. ومواسم الزرع والحصاد.. وغيرها وغيرها..

حتى جسمك.. خلايا تموت وخلايا تتجدد.. دماء تتدفق جيئةً وذهاباً في أوردتك وشرابينك.. نبضات لا تكف.. أنفاس تتلاحق.. هضم وتمثيل وإخراج.. ودورات حياة كاملة في كل خلية من خلاياك..

الحركة هي الأصل.. والتغير هو الطبيعة..

ييجي إحنا بقى نثبت نفسنا، ونثبت غيرنا عند موقف.. أو تفاعل.. أو كلمة.. أو نظرة.. أو غلطة.. أو موطن ضعف.. أو لحظة فشل.. أو حتى لحظة نجاح.. ونحرم نفسنا ونحرم غيرنا من فرصة جديدة.. ورؤية مختلفة.. ونبقى ممن "لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها"..

عملت ده قبل كده؟ ما فيش مشكلت.. ما هو انت قبل قرآيت الكلام ده غير بعد قرآيت الكلام.. وأنا برضه... قبل الكتابة غير بعد الكتابة..

عارف برامج الكمبيوتر اللي بينزلها كل شوية (أب - ديت) update (تحديث).. انت محتاج تعمل كل شوية تحديث لرؤيتك لنفسك وللآخرين.. هاتكتشف وتشوف حاجات حلوة أوي.. ما كنتش شايفها قبل كده..

عارف الكتاب الناجح اللي بينزل منه طبعة أولى.. وتانية.. وثالثة.. انت محتاج كل دقيقة تعمل طبعة جديدة للناس ولنفسك ولكل حاجة حواليك.. تكون أنقى، وأحدث، وأوسع.. وأشمل.. وأرحب.. وأوضح..

بلاش تقف ولا توقف غيرك... لأنك كده بتحرق نفسك
وبتحرقه.. وبتفقد، وبتخليه يفقد أي أمل في أي تغيير..

ياللا بقى نعمل (أب - ديت) لبعض..

١٦

كلنا (ماليفيسينت)

عن فيلم Malificent

(١)

ماليفيسينت.. كائنة/جنية جميلة ورقيقة، اتولدت في مملكة ساحرة مليانة ثقة وحب وجمال بين كائنات عجيبه وغريبه زيها.. ماليفيسينت ليها جناحين.. بتطير بيهم في براح الدنيا، وتتمتع بجمالها.. وتحمي بيهم نفسها وأهلها.. ماليفيسينت بريئه.. طيبه.. تلقائيه..

وقعت في حب صبي صغير.. وصدقت إن ده هو الحب الحقيقي مع أول هديه (قبله) أهداها ليها لما كان سنها ١٦ سنه.. بس لأنه من البشر.. فالطمع والجشع أغواه بأنه يقص جناحاتها ويهدبهم للملك علشان يتجوز بنته.. ويورث عرشه.

ماليفيسينت.. بعد ما اتكسرت.. اتشوهت.. واتغيرت.. مضطرة.. ملاها الغضب.. والكراهه.. والحقد.. والغل.. والرغبه الشديده في الانتقام.. من كل جنس البشر.. الممثل الآن في الملك الجديد وزوجته وبنته المولوده الجديدة (أرورا)..

ماليفيسينت أصابت المولوده الصغيره الجميله بلعنه يتم تفعيلها عند بلوغها سن ١٦ سنه (نفس سنها لما صدقت وجود حب حقيقي).. اللعنه دي هاتخليها تنام في غيبوبه ما تصحاش منها إلا مع (قبله) من حد يبحبها (حب حقيقي)..

وتشاء الأقدار إن البنت الصغيره (أرورا) تنشأ وتكبر تحت سمع وبصر (ماليفيسنت).. اللي كل يوم بيزيد كرها للبنت أكثر.. وتتمنى ليها الموت في كل لحظه.. ومستنيه تحقيق النبوءه بفارغ الصبر..

لكن.. براءة (أرورا) وجمالها وبساطتها تبدأ تحرك/تصحي في (ماليفيسينت) مشاعر جديدة: تعاطف.. قبول.. اهتمام.. يتطور بعد شوية إلى خب.. لغاية ما تقرر (ماليفيسينت) إبطال مفعول اللعنة قبل موعدها بيوم واحد.. لكنها بكل أسف تفضل.. وتدخل (أرورا) في غيبوبة تامة وسبات عميق في يوم عيد ميلادها السادس عشر.

يتسمر جميع المشاهدين أمام مشهد الفتى اللي (أرورا) قابلته قبل الغيبوبة بأيام وكان مهتم بيها وبدأ يحبها.. وهو يقرب من سريرها، بعد ما قادته ليه (ماليفيسينت) في محاولة أخيرة لإنقاذ البنت بقبلتها (خب حقيقي).. لكن المفاجأة.. إنها ما صحيتش من الغيبوبة.. علشان تؤكد لـ (ماليفيسينت) وللولد وللمشاهدين نفس الرسالة اللي وصلتها في نفس السن: ما فيش حاجة اسمها (خب حقيقي).

(ماليفيسينت) تتالم.. وتبكي.. وتعد (أرورا) بأن تحافظ عليها للبقية الباقية من حياتها.. وتودعها بقبلتها بسيطة على جبينها.. وبمجرد ما تلتفت عنها.. تصحى (أرورا) من الغيبوبة في مشهد بالغ الجمال.. علشان نكتشف إن دي كانت قبلتها (الحب الحقيقي) اللي أنقذتها وأعادتها للحياة..

قبلتها (الحب الحقيقي) مش بس أعادت (أرورا) للحياة.. لا.. دي كمان ساعدت (أرورا) إنها ترجع لـ (ماليفيسينت) جناحاتها المسروقة.. وحياتها المفقودة.. علشان تسامح نفسها.. وتبدأ من جديد.. وتعيش لنفسها وأهلها ومملكته..

قصة (ماليفيسينت) هي قصة أي مريض نفسي (وقصة ناس طبيعيين كثير).. طفل صغير برئ وجميل وله جناحان.. يبطير بيهم ويحلق في أحلامه.. يحب أهله.. وبيته.. وشايف فيهم كل جمال الدنيا..

وزى ما بيحصل كثير.. يقوم الآباء والأمهات المجلون بقصص قصة جناحات طفلهم.. فيوقفوا تلقائيتها.. ويمنعوا طيرانه: اسمع الكلام علشان أحبك.. اشرب اللبن علشان ربنا يحبك.. ما تعليش صوتك علشان تدخل الجنة.. ما تقولش (لأ) علشان عيب.. وكثير أوى من اللي احنا عارفينه.. واللى بيتعمل تحت ادعاء (علشان مصلحتك) وراحنا نعرف أكثر منك).. لكن اللي وراه في الحقيقة هو مشروعهم الخاص المتمثل في طفلهم البرئ، وأحلامهم الشخصية اللي عاوزين يحققوها من خلاله، في طريق هما اللي راسمينه، وبطريقة هما بس اللي يحدودها.. ويسمواده (حُب حقيقي)..

وبعد ما يكتشف الطفل المسكين خدعة (الحب الحقيقي) يكون المشروع الوحيد على أرض الواقع.. هو مشروع مريض نفسي.. مكسور.. ومشوه.. مضطراً..

ويملاه (زي ما ملا ماليفيسينت) كره شديد لنفسه وللعالم.. وسواد ما لهوش حدود، ورغبة عارمة في الانتقام من الجنس البشري بأكمله.. انتقام خارجي في صورة عنف مثلاً، أو انتقام موجه لذاته في صورة مرض نفسي.. ويجيلنا باكتئاب.. أو توتر.. أو اضطراب في الشخصية.. أو لما يوصل الانتقام بيه إلى أقصاه يطلع لسانه للعالم.. ويتجنن..

وزي كثير من المرضى النفسيين.. يعمل حاجة اسمها (التكرار القهري).. يعني بيدفع نفسه لتكرار التجربة المؤلمة اللي عدى بيها في حياته مزة واثنين وثلاثة وعشرة، بنفس تفاصيلها، مع أشخاص تانيين، ويوصل في الآخر لنفس النهاية.. علشان حاجة من اثنين (على الأقل): أولاً إنه يثبت لنفسه وللناس وللدنيا كلها إنه كان على حق.. وإنه مظلوم.. وإنه ضحية.. وإن (زي ما قالت مالفيسينت) ما فيش حاجة اسمها صدق ولا ثقة ولا حُب حقيقي.. فيفضل زي ما هو.. وثانياً إنه يدي نفسه فرصة تانية، ويدور على حل مختلف.. ويلاقي إجابة شافية.. ويكتشف عكس فروضه المرضية اللي عاش بيها طول حياته.. ويصدق إن لسه فيه صدق.. وفيه ثقة.. وفيه حُب حقيقي.. فيتغير.. ويخف..

وده بالطبط اللي عملته (مالفيسينت)..

(مالفيسينت) شافت نفسها في (أرورا).. وكأنها الجزء اللي ما زال برئ وناض بالحياة منها (علشان كده مالفيسينت كانت طول الفيلم لابسة إسود ومكياجها غامق دلالة على الجانب المظلم المريض من شخصيتها، وأرورا شقراء باهرة الجمال والألوان، دلالة على الجانب الفطري السليم والجميل) وبدل ما تكرر (مالفيسينت) التجربة المؤلمة بنفسها قررت تخلي (أرورا) تلعب الدور ده مكانها.. بمنتهى القسوة، وبرود القلب، وقليل من الأمل الباهت.. والأمنيات الخافتة.. إنها تنجح.. وتعدي الاختبار الصعب..

وعند لحظة الحل المتوقع.. والقبلة الساحرة الشافية من الحبيب
اللي الناس كلها اتخذت فيه برضه.. تيجي عبقرية الفيلم،
وعبقرية ما ليفيسينت، وعبقرية العلاج النفسي..

(٣)

عارف المريض النفسي بيخف إزاي؟ عارف البني آدم بيتغير إزاي؟
عارف إيه كلمة السرقي النضج والنمو النفسي تبغا لكل
مدارس علم النفس والعلاج النفسي؟

الشوفان.. والألم.. والقبول..

البني آدم بيبقى شايف نفسه والآخريين والعالم بعين واحدة..
ومصدق اللي هو شايفه ويس.. ومش مُستعد يغيره: أنا مظلوم..
أنا ضحية.. أنا مُضطّر.. أنا غير مسئول.. هما سيئين.. الدنيا
وحشة.. وبيعمل كل حاجة يثبت بيها ده، علشان يؤكد
لنفسه نفس الرسالة القديمة.. فيفضل زي ما هو.. ويكرر
نفس الدور.. على مسارح مختلفة.. وبممثلين جداد كل مرة..
تبدأ لحظة التغيير الحقيقية بانك تشوف الجانب الآخر من
نفسك.. الجانب المظلم.. اللي ما كنتش بتسمح لنفسك قبل
كده إنك تشوفه.. وحتى لو شوفته.. كنت بتلمس لنفسك
الأعذار والمبررات والحيل الدفاعية النفسية.. هاتكتشف وقتها
إنك زي ما اتظلمت زمان، بتظلم نفسك وغيرك دلوقت.. وزى ما
كنت ضحية زمان.. فإنت جاني دلوقت.. وزى ما كنت مُضطّر
زمان.. فإنت مختار دلوقت.. وزى ما كنت مش مسئول عن اللي
حصل زمان.. فإنت مسئول عن استمراره وتكراره بشكل أو
بآخر دلوقت..

الشوفان ده مؤلم.. لأنك بتشوف حاجة جديدة وغريبة ما كنتش متوقعها قبل كده.. والرؤية دي قاسية.. لأنها مليانة متناقضات.. تحملها عايز مجهود نفسي شاق.. واستيعابها في منتهى الصعوبة.. ناس كتير أوي يتقف عند المرحلة دي.. ومتقدرش تكمل.. تشوف وتتألم وبس.. لكن مش يبقىقدامك علشان تكمل وتبدأ تتغير غير خطوة واحدة بس.. خطوة مهمة وأساسية.. اسمها القبول.. أه القبول..

تقبل نفسك كلها على بعضها.. بكل ما فيها.. الوحش قبل الحلو.. الضلمة قبل النور.. الشر قبل الخير.. الفجور قبل التقوى (نفس ترتيب الآية القرآنية).. القديم والجديد.. الغلط والصح.. تقبل الضعف والخطأ والفسل.. تقبل إنك بني آدم.. والقبول هنا مش معناه الموافقة.. ولا معناه الاستسلام للي انت فيه.. بالعكس.. القبول هنا هو الدرجة الأولى في سلم التغيير..

شوفت؟ أتألمت للمتناقضات اللي شوفتها في نفسك وفي الآخرين؟ قبلت نفسك (والآخرين) كلها على بعضها؟ تبدأ دلوقت عملية الالتحام والالتئام التلقائية بين أجزاء نفسك المتنافرة.. وقطع روحك المتباعدة.. وكسور خاطرك المبعثرة.. زي بالظبط جرح العملية.. الدكتور المعالج/ الحياة/ التجربة/ الرؤية) يفتح.. وينضف.. ويقرب حافتي الجرح من بعض بالخيط.. ويتم بعدها التئام الجرح بصورة تلقائية ذاتية ما فيش دخل فيها لأي حد.. غير جسمك.. ونفسك.. وروحك..

(ماليفيسنت) اتظلمت.. واتشوهت.. واتغيرت للأسوأ مضطرة.. وعاشت الكره والانتقام..

لكنها في اللحظة الفارقة من الفيلم ومن حياتها قدرت تشوف الجانب المظلم منها.. وتشوف إنها ظلمت نفسها وظلمت اللي حوالها.. وإنها زي ما كانت مظلومة وضحية ومضطرة وغير مسئولة، فهي دلوقت ظالمة وجانية ومختارة ومسئولة..

(ماليفيسنت) حاولت تموت الجزء الباقي الجميل منها (اللي كانت أرورا رمز ليه).. لكن كان عندها الشجاعة إنها تشوف الجزء ده وتحاول تنقذه..

(ماليفيسنت) شافت التناقض في نفسها.. وفي (أرورا).. وفي الآخرين.. وفي العالم.. واتألمت ألم شديد جداً لهذا الشوفان وهذه الرؤية، في واحد من أبرع مشاهد الفيلم الأخيرة..

(ماليفيسنت) قبلت التناقض اللي شافته.. وشافت مسئوليتها عن كل اللي حصل في حياتها واللي هي عملته في نفسها وفي الآخرين.. وقررت تتغير.. وتحمي (أرورا/نفسها) وتحافظ عليها ما تبقى لها من عمر..

(ماليفيسنت) شافت.. واتألمت.. وقبلت.. علشان كده بدأت عملية اللتنام الذاتية التلقائية .. واتحول كل ده جواها.. إلى.. حب حقيقي..

حب له القدرة على التغيير.. والشفاء..

(ماليفيسنت) هي كل حد جواه جانب مُظلم وجانب مُبهر..
بعاد عن بعض.. ومحتاجين يتلملّموا.. ويلتأموا.. علشان تبدأ
الحياة الحقيقية..

(ماليفيسنت) هي الشر والخير.. جوه كل واحد فينا.. واللي من
غيرهم مانبقاش بني آدميين أو بشر..
(ماليفيسنت) هي النفس البشرية.. في فجورها وتقواها.. اللي
زي الليل والنهار..

هي إنك ما تياشش من نفسك مهما عملت.. ومهما غلطت.. ومهما
فشلت.. ومهما ضعفت..

هي إنك تبقى واثق ومتأكد إن جواك جمال وروعة وبراعة
بالرغم من كل شيء..

هي الضلمة اللي جواك واللي بتخللي للنور معنى وقوام وجمال..
والغضب اللي بتحسه ساعات، ومن غيره ما يكونش فيه سماح
ولا عفو ولا رحمة.. والخطأ اللي تعمله وتكرره وبعد شوية
تتعلم منه وتحوله لطاقة خير وأمل وعطاء..

(ماليفيسنت) هي التناقض الخلاق.. وألم الرؤية.. والقبول غير
المشروط..

(ماليفيسنت) هي الكره الإنساني في صورته الخام.. والحب
الحقيقي المُغَيَّر والشافي..

(ماليفيسنت).. هي أنت.. وأنا.. وكل البشر..

شوفد..

اقالم..

أقبل..

سامح نفسك والآخرين..

ابدأ من جديد..

فالحب الحقيقي هو أنت..

والشفاء الحقيقي لن يأتي إلا من داخلك..

١٧

أنا موجود.. إذن أنا أستحق..

فيه كلمات من كتر ما بنستخدمها فقدت معناها..

من أشهر الكلمات دي كلمة: "الثقة بالنفس"..

تقدر حضرتك تقوللي يعني إيه "الثقة بالنفس"؟

تقدري حضرتك تقوليلي إيه المقصود بـ "أنا واثقة في نفسي"؟

معظم الكتب والدوريات العلمية الحديثة ما فيهاش حاجة

اسمها "ثقة بالنفس" Self-trust .. إنما فيها حاجة اسمها

"استحقاق النفس" Self-worth .. حتى إنه من الأعراض الشهيرة

لمرض الاكتئاب عرض شائع جداً اسمه الشعور بعدم الاستحقاق

..Sense of Worthlessness

هي تفرق؟

أه طبعا تفرق..

إحنا اتربينا واتعودنا على إن الشخص (الواثق في نفسه) شخص

قوي.. ناجح.. دائماً بينبص قدامه.. بيحسبها صح.. مش بيضعف..

ومش بيفشل..

وفي الحقيقة دي أكبر خدعة بنخدعها لنفسنا.. علشان

بكل بساطة الشخص ده مش موجود.. غير في الخيال.. وفي

أفلام (جيمس بوند) و(مهمة مستحيلة)..

القوي والحسيب والظافر والقاهر هو رينا.. رينا بس..

رينا بس هو اللي مش بيضعف ومش بيفشل وليه مقادير وتدبير

وخوارق ومعجزات.. لكن جهل الإنسان وظلمه لنفسه خلاه في

أوقات كثير جداً ينافس رينا.. تحت مسميات متعددة.. أولها

(الثقة بالنفس)..

نظرة بسيطة مُتاملة على شخصيات زي (سوبر مان) و(أيرون مان) و(بات مان) و(سبايدر مان) هاتوريك بوضوح الشغف البشري والهوس التاريخي الدائم بخلق إله بشري (أو على الأقل نصف إله نصف بشر)..

أما "استحقاق النفس" فده موضوع ثاني خالص.. وعلشان ما يتحولش الكلام لمحاضرة أكاديمية.. هاقولك بشكل عملي ومباشر ممكن تعمل إيه علشان تتعامل مع نفسك على أنك "تستحق"..

أولاً.. تعرف وتتأكد إنك بشر.. بني آدم.. مش ربنا.. تقبل إنك تخطئ، وتقبل إنك تضعف، وتقبل إنك تفشل.. ودي مقومات آدميتك، ودواعي بشريتك.. من غير ما تخطئ مش هاتتعلم، من غير ما تضعف مش هاتحس بقوتك، ومن غير ما تفشل مش هايكون للنجاح أي طعم.. خليك عارف دايمًا إن قبول الخطأ صواب.. وقبول الضعف قوة.. وقبول الفشل نجاح.. يعني تقبل نفسك كلها على بعضها بكل ما فيها، وبكل ما سيكون فيها..

ثانياً.. تصدق من جواك إنك: "تستحق".. "تستاهل" يعني.. تستاهل تعيش.. تستاهل تتحب.. تستاهل تحترم.. تستاهل يهتم بيك.. تستاهل تتشاف.. تستاهل كل حاجة كويستة في الدنيا.. ربنا ما خلقكش جزافاً.. ربنا خلقك وكرمك وخط في فطرتك وبرنامجك الإلهي ملف اسمه "ولقد كرمنا بني آدم".. بني آدم دي يعني انت..

مطلوب إنك تحس وتصدق وتعيش وتمارس إنك "تستاهل" من أول ما تصحى الصبح لغاية ما تنام بالليل..

وخلي بالك.. أكبر غلطة ممكن تغلطها هي إنك تربط إنك "تستاهل" بأي حاجة عملتها أو قولتها.. يعني تقول "أنا أستاهل" أتحب لأنني نجحت"، أو "أستاهل أحترم لأنني أنجزت كذا"، أو "أنا أستاهل أتشاف لأنني حققت كذا".. لا.. لا..... انت تستاهل كل دول من غير ما تعمل أي حاجة.. تستاهل كل دول علشان إنت موجود.. علشان إنت خلقتة رينا..

إرتباط إنك تستاهل بتحقيق أو إنجاز أي حاجة معناها إنك بتتحط لنفسك شروط، في حين إن رينا لما كرمك محطش ليك أي شروط على الإطلاق. أنت كريم.. أنت مكرم.. أنت تستاهل.. مهما حصل..

ثالثا.. تدي نفسك كل يوم فرصة جديدة، وأمل جديد.. يعني ما توقفش نفسك عند أي محطة فاتت في حياتك مهما كانت صعبة أو مؤلمة.. ما تشوفش النهاردة بعيون امبارح.. ولا بكرة بعيون النهاردة.. اعتبر كل يوم حياة جديدة.. واعتبر نفسك كل يوم في خلق جديد.. وسيبك من الكلام التقليدي بتاع (خلي عندك أمل)، اسمها (طلع الأمل اللي جواك).. لأنه في الحقيقة الأمل موجود جواك بالفعل.. بس محتاج منك تصدقه وتستخدمه..

رابعا.. ودي أهم واحدة.. كن نفسك.. ما تكونش زي ما أي حد
 عاوز.. ما تسجنش نفسك في آراء الآخرين.. وما تفصلش نفسك
 على مقاس أي حد، اللي عاوزك ٣٧ واللى عاوزك ٣٩ واللى عاوزك
 ٤٢.. ما تسمحش لأي حد يشوف فيك نفسه، ويحاول يحقق
 من خلالك أحلامه الشخصية.. ما توافقش إن أي حد يشوفك
 امتداد ليه، أو مشروعه الاستثماري الخاص.. ما تسمحش لأي
 حد يقبلك بشروط، أو يحبك بشروط، أو يحترمك بشروط.. أنت
 نفسك.. نفسك وبس.. أنت في رحلتك.. فيها صعود وهبوط.. فيها
 حركة وفيها ثبات.. فيها خطوات لقدام، وساعات خطوات لورا..
 فيها وقوع، وفيها لخبطة.. فيها حيرة وفيها شك.. فيها نور وفيها
 ضلمة.. فيها كل حاجة.. كل حاجة.. واللى ما يشوفش
 ده ويقبله ويقبلك بيه.. تقوله شكرا.. وتكمل رحلتك من
 غيرم..

خامسا وأخيرا.. استبدل الإحساس (المرضي) بالذنب بالإحساس
 (الصحي) بالمسئولية.. يعني بدل ما تجلد نفسك وتعلقها
 حبل المشنقة مع كل غلطة.. اعتذر للى غلطت في حقه، وما
 تكرر الغلطة تاني (متعمدا).. بدل ما تياس وتقنط وتضلم
 الدنيا من حواليك علشان أخطأت، سامح نفسك واطلب السماح
 من ربنا وخليك واثق في عفوه ورحمته.. إحساسك بالذنب
 هايوقفك ويسجنك ويشل حركتك ويخليك تكرر نفس
 الغلطة تاني ألف مرة.. إنما إحساسك بالمسئولية هايخليك
 تتعلم، وتعتذر، وتسامح، وتتغير.. وتتحرك.. وتتحرر..

هل يينفع بعد كل ده إننا نتكلم - زي ما اتعودنا - بشكل مُختزل ومشوّه ونمطي عن ما يسمى "الثقّة بالنفس"؟ هل يينفع نخدع نفسنا تاني بهذا العنوان البراق الخالي من المعنى ومن العمق ومن الحقيقتة؟ هل هانستمر نجري ورا هذا السراب على صفحات الكتب وفي برامج التليفزيون؟ ما اعتقدش..

قبل ما تقوم..

خد الروشتة دي معاك..

خليها في جيبك..

لا.. في وعيك..

احفظها بعقلك.. واصرفها بقلبك.. واستخدمها بروحك ونفسك..

مممكن تسميها روستة "استحقاق النفس"..

R/ أنا مش رينا، أنا بشر بغلط وبضعف وبفشل

R/ أنا أستاها أتحب وأتقبل وأحترم من غير شروط

R/ كل يوم فرصة جديدة وأمل جديد

R/ مش هاكون غير نفسي ومش هافضل نفسي على مقاس حد

R/ هاستبدل "أنا مذنب" بـ "أنا مسئول"

ياللا قول معايا:

الحمد لله

الخروج عن النص

مهم جدًا في رحلة أي حد فينا إنه يقف شوية قدام
المراية.. المراية النفسية.. اللي من خلالها يقدر
يشوف نفسه، ويعرفها، ويتعلم منها.. علشان يخرج
عن النصوص القديمة، ويبدأ يقبل نفسه، ويحبها،
ويغيرها للأحسن.. وهي رحلة تستحق التعب
والصبر، وبعض الألم.. الكتاب ده هيساعدك إنك
تشوف.. تشوف نفسك بكتير من تفاصيلها
وخباياها.. تشوف الآخرين، بطريقة جديدة
ومختلفة تمامًا.. وتشوف علاقتك، بدرجة عالية
من الثقة والوضوح.. الكتاب ده هيساعدك إنك
تتغير.. وتخرج عن النص..

محمد طه

